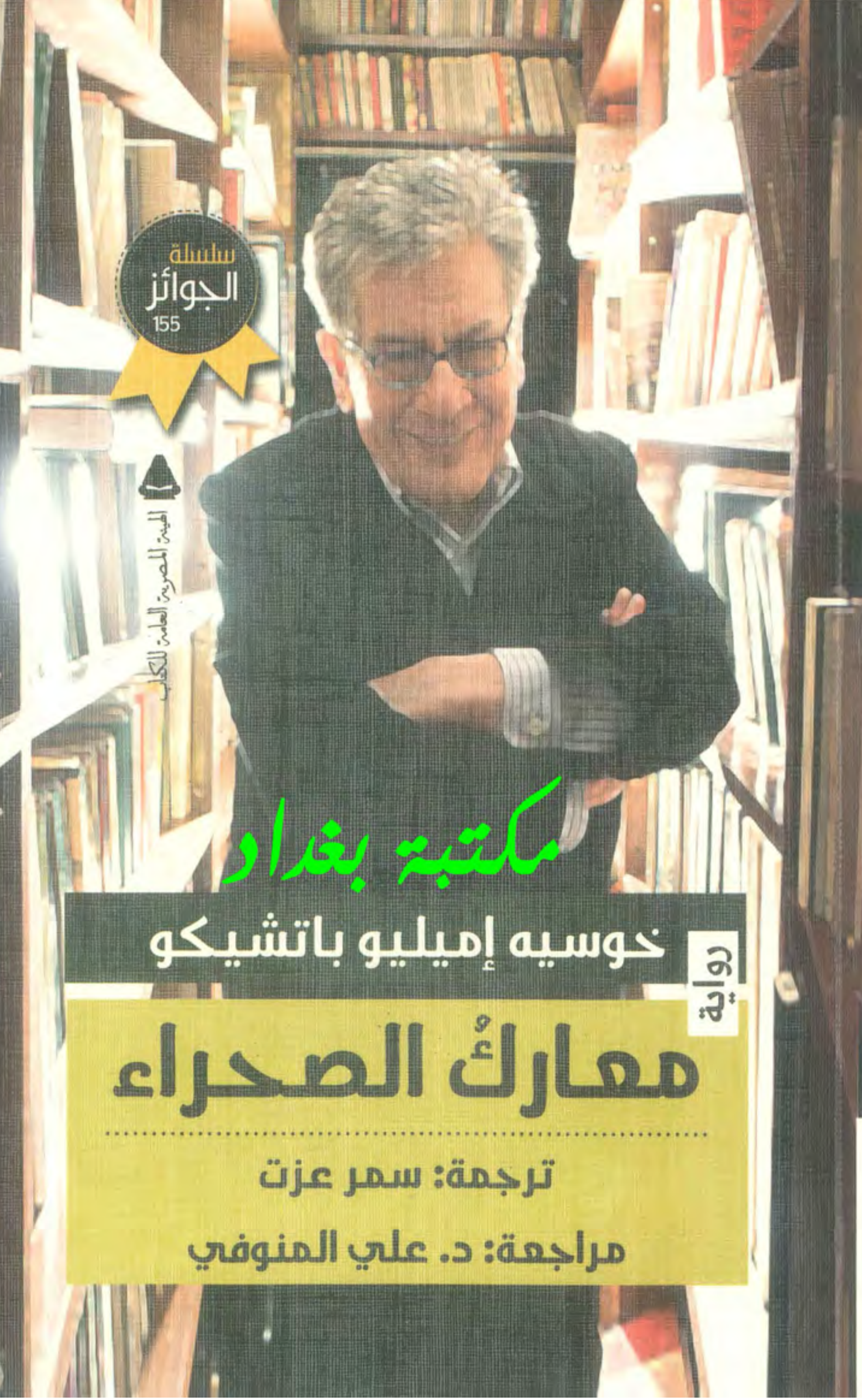

سلسلة
الجوائز
155
الهيئة المصرية العامة للكتاب
مكتبة بغداد
خوسيه إميليو باتشيكو
رواية
معاركُ الصحراء
ترجمة: سمر عزت
مراجعة: د. علي المنوفي

إميليو باتشيكو، خوسيه.
معارك الصحراء: رواية/ خوسيه إميليو باتشيكو؛
ترجمة: سمر عزت، مراجعة: على المنوفى . ـ القاهرة:
الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٦.
٨٠ ص؛ ٢٣ سم.
تدمك: ٩ ـ ٦٨٠ ـ ٩١٠ ـ ٩٧٧ ـ ٩٧٨
١ـ القصص المكسيكية.
أ ـ عزت، سمر (مترجم).
ب ـ المنوفى، على (مراجع).
ج ـ العنوان.
رقم الإيداع بدار الكتب ٣٢٣٩ / ٢٠١٦
I.S.B.N 978 - 977 - 910 - 680 - 9
ديوى ٨٦٣

معارك الصحراء

خوسيه إميليو باتشيكو

رواية

ترجمة : سمَر عزت

مراجعة : د. علي المنوفي



الهيئة المصرية العامة للكتاب

2016

- الكتاب: **معارك الصحراء.**

Las batallas en el desierto

- تأليف: **خوسيه إميليو باتشيكو.**

Jose Emilio Pacheco

- ترجمة: **سمر عزت.**
- مراجعة: **د. علي منوفي.**

- الطبعة الأولى 2015.
- طبع في مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.

في ذكرى خوسيه إسترادا، ألبيرتو إسحق

وخوان مانويل توريس،

وإلى إدواردو ميخيبا

ـ 1 ـ

العالم القديم

أتذكر.. لا، لا أتذكر: أي سنة كانت تلك؟.. أصبح هناك متاجر كبيرة تباع فيها جميع السلع، لم يكن هناك تلفاز بعد. فقط المذياع: أتابع مغامرات كارلوس لاكرويكس، طرزان، حارس الأحراش الوحيد، كتيبة مادروجادوريس، الأطفال الأساتذة، أساطير شوارع المكسيك، بانسيكو، الدكتور آى. كيو، الدكتورة "قلوب" وعيادة الأرواح. يسرد باكو ماخيستو أحداث مصارعة الثيران، وكارلوس ألبيرت هو المعلق الرياضي على مباريات كرة القدم، والماجو سيبتيين ينقل مباريات البيسبول. بدأت تجول أولى سيارات تم إنتاجها بعد الحرب: باكارد، كاديلاك، بويك، كرايسلر، ميركوري، هدسون، بونتياك، دودج، بليماوث، دي سوتو.. كنا نشاهد أفلام إيرول فلين وتيرون باور، ونذهب إلى الحفلات الصباحية حيث يتم عرض أفلام كاملة دون فواصل: "غزو مونجو فلاش جوردون" كان المفضل بالنسبة لي. كانت أغنيات " بدونك"، "لا روندايا"، "حمارتي الصغيرة" ، "لا موكورا" و"حب قلبي" هي الأكثر رواجًا في تلك الفترة. ومن بويرتوريكو عادت من جديد أغاني البوليرو القديمة وانتشرت في كل مكان: " مهما

كان بُعد السماء، وعمق البحر، سوف يجتاز حبي لكِ كل عوائق العالم من أجلكِ."

انتشرت في هذا العام أمراض النخاع الشوكي، فأصبح كثير من الأطفال في المدارس يستعينون بأجهزة تقويم التشوهات؛ انتشرت الحمى القلاعية، فأعدموا عشرات الآلاف من الماشية المصابة؛ وتحولت منطقة وسط البلد إلى بحيرة ماء بفعل الفيضانات واضطر الناس إلى استخدام الزوارق للتجوال في المدينة. يقولون إنه مع العاصفة القادمة ستنفجر ماسورة الصرف الرئيسة وتغرق العاصمة. فأجابني أخي: وفيمَ يهم ذلك، إذا كنا في ظل نظام ميجل أليمان نسبح بالفعل في الخراء.

أينما كنت تجد نفسك محاطًا بوجه السيد الرئيس: رسومات ضخمة، بورتريهات مثالية، صور في كل مكان، رسوم كاريكاتورية تمدحه ونصب تذكارية له وقصص وأساطير تُروى عن التقدم الذي تحقق على يد ميجل أليمان بوصفه أبًا روحيًا. تملُق في العلن و سب في الخفاء. كنا نكتب ألف مرة في دفتر العقاب: يجب أن أكون مطيعًا، يجب أن أكون مطيعًا، يجب أن أطيع والديّ ومدرسي. يعلموننا تاريخ الوطن، لغة قومية، جغرافية مدينة مكسيكو: الأنهار (كان لا يزال هناك أنهار) والجبال (عندما كان يمكن رؤيتها).

إنه العالم القديم. يشكو الكبار من التضخم والتغيرات والازدحام وانعدام الأخلاق والضجيج والجرائم والتكدس السكاني والتسول والأجانب وانتشار الفساد والغنى الفاحش لدى القليلين والفقر المزري للأغلبية.

كانت الجرائد تقول: إن العالم يمر بلحظة أسى. شبح الحرب الأخيرة يخيم فى الأفق. أصبحت القنبلة النووية عند انفجارها رمزًا لتلك الحقبة المظلمة التي نعيش فيها، ومع ذلك ما زال الأمل موجودًا. أكدت كتبنا المدرسية أن المكسيك لها شكل قرن الرخاء على الخريطة. يتكهنون بأن الرخاء والرفاهية سوف يسودان العالم في بداية الألفية الثانية التي لم

تتبادر إلى الذهن بعد، إلا أننا ما زلنا نجهل تمامًا كيف سيتحقق ذلك. مدن نظيفة، بدون ظلم، بدون فقراء، بدون عنف و بدون زحام ولا قمامة. سيصبح لدى كل عائلة بيت عصري ديناميكي، يساعد تصميمه على خفض مقاومة الهواء (مصطلحات من العصر الحالي). لن ينقص أي شيء لأي فرد. ستقوم الماكينات بكل الأعمال. شوارع مليئة بالأشجار والنوافير، تمر بها مركبات لا تصدر ضجيجًا ولا عوادم وتتجنب أي احتمالية لوقوع حوادث. إنها الجنة على الأرض. المدينة الفاضلة ستصبح أخيرًا حقيقة واقعة.

وبينما نحاول مواكبة العصر، بدأنا نضيف إلى قاموسنا اللغوي مصطلحات أمريكية بدت غريبة في أول الأمر، كما في أفلام "تين تان"، إلا أنها اتخذت الطابع المكسيكي فيما بعد: سانك يو، أوكي، وات زا ماتر، شات إب، سوري، وان مومينت بليز. بدأنا نأكل الهمبرجر وفطائر الفاكهة والدونتس والهوت دوج والميلك شيك والآيس كريم والمارجارين وزبدة الفول السوداني. سحقت الكوكاكولا عصائر المريمية والليمون والكركديه. وظل الفقراء يتناولون مشروب التيباتشي. بدأ آباؤنا يعتادون على مزيج الهاي بول بعد أن كان طعمه يبدو لهم مثل الدواء فى أول الأمر. سمعت عمي خوليان يقول: لقد منعت التكيلا من بيتي، أقدم الويسكى فقط لضيوفي؛ علينا أن نرتقي بذوق المكسيكيين.



ـ 2 ـ

كوارث الحرب

خلال أوقات الراحة، نأكل شطائر القشدة التي لن نذوقها فيما بعد، وكنا نلعب في فريقين: عرب ويهود. كانت دولة إسرائيل قد تأسست لتوّها والحرب قائمة ضد جامعة الدول العربية. أما الأطفال الذين هم بالفعل عرب أو يهود، فقد كانوا فقط يتحدثون ليتشاتموا ويتشاجروا. كان معلمنا بيرناردو موندراجون يقول لهم: إنكم ولدتم هنا، مكسيكيو الجنسية مثل زملائكم. لا ترثوا الكراهية. بعد كل ما مر علينا من أحداث (المذابح اللا نهائية ومعسكرات الإبادة والقنابل النووية وملايين الملايين من الموتى) يجب أن يكون عالم الغد، الذي ستصبحون فيه رجالاً، عالمًا يعم فيه السلام، لا توجد فيه جرائم ولا ضغائن. سُمع رنين ضحكة آتية من الصفوف الخلفية، فنظر موندراجون إلينا حزينًا، متسائلاً: تُرى ماذا ستفعل بنا السنون، كم من الشرور والكوارث تنتظرنا في المستقبل؟.

حينذاك كان وجود الإمبراطورية العثمانية مثله مثل نور نجم أفل منذ سنين: بالنسبة لي بوصفي طفلاً من حي روما، عرب أو يهود هم في نظري "أتراك". لم أشعر أن هؤلاء الأتراك غريبو الأطوار مثل جيم الذي ولد في

سان فرانسيسكو ويتحدث اللغتين بدون لكنة؛ أو تورو الذي تربى في معسكر اعتقال لليابانيين؛ أو بيرالتا وروساليس. كانوا يدرسون مجانًا. كانت لديهم منحة ويعيشون في عشوائيات حي لوس دوكتوريس.

كان شارع لا بييداد - الذى لم يُسمى بعد بالكواوتيموك - وحديقة أورويتا، بمثابة الخط الفاصل بين منطقتي روما دولوس دكتوريس. كانت روما قرية منعزلة يمر بها الرجل ذو المخلاة؛ لص الأطفال المرعب. إذا ذهبت إلى حي روما يا بني فسيخطفونك، ويفقأون عينيك، سيقطعون يديك ولسانك ويجعلونك تطوف بالشوارع طالبًا صدقة، ثم يأخذ منك ذو المخلاة كل شيء. إنه يتسول نهارًا ويبدو مثل مليونير أنيق جدًا أثناء ساعات الليل؛ بفضل استغلال ضحاياه. أتذكر كم كنت أخاف من مجرد وجودي بالقرب من روميتا، ومن المرور بالقطار على الجسر المطل على شارع كويوكان: حيث القضبان والفلنكات؛ و نهر لا بييداد القذر في الأسفل الذي يفيض أحيانًا عند هبوط الأمطار.

قبل نشوب الحرب في الشرق الأوسط كانت هوايتنا المفضلة هي إزعاج تورو. "ياباني ياباني صيني كُل براز ولا تعطيني.. آها.. تورو، هجوم.. سأوخزك بحربة مصارع الثيران". لم أنضم قط إلى هؤلاء الذين كانوا يسخرون من شخص ما. فكرت فيما كنت سأشعر به إذا سخر مني أحد، مكسيكي وحيد في مدرسة في طوكيو؛ وفكرت كذلك فيما كان سوف يقاسيه تورو إذا شاهد تلك الأفلام التي يظهر فيها اليابانيون مثل قردة تومئ حينما تتكلم وتموت بالمليارات. كان تورو هو أفضل مَن في المجموعة، متفوقًا في جميع المواد، يذاكر باستمرار ودائمًا نجده ممسكًا بكتاب في يده ليستذكر دروسه. كان يلعب الجوجيتسو. ذات مرة شعر بالملل مما كان يحدث له وكان على وشك أن يحطم رأس دومينجيث وأجبره على الاعتذار له راكعًا. منذ ذلك الحين لم يجرؤ أحد أن يتعرض لتورو، الذي أصبح الآن مديرًا لمصنع ياباني يعمل به أربعة آلاف عبد مكسيكي.

أنا من أراغون(*). سأقتلك: أنا من الجيش العربي. عندئذ كانت تبدأ معارك الصحراء. وقد أطلقنا عليها هذا الاسم لأن الفناء كان مليئًا بتراب له لون غبار الطوب الأحمر، لا توجد به أشجار ولا نباتات، كان هناك فقط علبة من الأسمنت في ركن بعيد، تخفي خلفها ممرًا ضيقًا تم إنشاؤه خلال فترة المطاردات الدينية؛ لكي يُمكّن من الوصول إلى المنزل الواقع على الناصية ثم الهروب من الشارع الآخر. كنا نعتبر السرداب أثرًا من حقبات ما قبل التاريخ، على الرغم من أن الوقت الذي مر منذ نشوب حرب "الكريستيرا" وطفولتنا كان أقل من الوقت الذي مر منذ طفولتنا والحاضر. إنها الحرب التي أشعلتها الكنيسة احتجاجًا على الإصلاح الذي فرضته الحكومة، والتي شاركت فيها عائلة أمي بشيء أكثر من مجرد التعاطف. ظلوا بعدها بعشرين عامًا يبجلون الشهداء من "الكريستيروس" كالأب برو وأناكليتو جونثاليث فلوريس. وعلى عكس ذلك، لم يتذكر أحد آلاف الموتى من الفلاحين ومؤيدي الإصلاح الزراعي ومعلمي مدارس الأرياف والمجندين بشكل إجباري.

لم أفهم أي شيء: أي حرب بالنسبة لي كانت مجرد حدث أراه فقط في الأفلام، وهي التي يفوز فيها الطيبون عاجلاً أم آجلاً (مَن هم الطيبون؟). لحُسن الحظ لم تنشب أي حرب في المكسيك منذ أن تمكن اللواء لاثارو كارديناس من قمع ثورة ساتورنينو ثيدييو. لم يصدق والديّ ذلك، حيث إنهما عاشا طفولتهما ومراهقتيهما وشبابيهما في ظل معارك مستمرة والعديد من أحكام الإعدام. ولكن هذه السنة، على ما يبدو، كانت تسير فيها الأشياء على ما يرام: من حين لآخر كانوا يعطلون الدراسة ويأخذوننا لحضور افتتاح طرق وشوارع جديدة، أو سدود، أو حدائق ومتنزهات رياضية أو مستشفيات ووزارات ومبانٍ ضخمة.

بشكل عام كانت مجرد أكوام من الحجارة. كان الرئيس يفتتح نصبًا تذكارية له هائلة الكبر وغير مكتملة. ساعات وساعات تحت الشمس

(*) المنظمة العسكرية القومية الإسرائيلية. (المترجم).

الحارقة دون أن نتحرك أو أن نتناول حتى كوبًا من الماء ـ روساليس كان يحضر ليمونًا، كان جيدًا جدًا لمقاومة العطش، أعطاني واحدة ـ بينما نحن ننتظر وصول ميجل أليمان. شاب، بسام، ظريف، براق، يلوح للجماهير مع حاشيته من فوق ظهر شاحنة نقل.

تصفيق، قصاصات من الورق الملون، شرائط ملونة، زهور، فتيات، جنود (لا يزالون يرتدون خوذاتهم الفرنسية)، رجال مسلحون (لم يُسموا بعد بالحراس)؛ ومثلما يحدث دائمًا، تخترق سيدة عجوز صف العساكر ويلتقطون لها صورة فوتوغرافية وهي تهدي سيادة الرئيس باقة من الورد.

أصبح لديّ العديد من الأصدقاء، ولكن لم يحب والديّ أيًا منهم: خورخي لأنه ابن لواء في الجيش وحارب ضد الكريستيروس، أرتورو لأن أبواه منفصلان ولأنه مسئول من عمة كانت تكسب عيشها من فتح البخت بورق اللعب، أما ألبيرتو فلأن أمه الأرملة كانت تعمل في شركة سياحة، والمرأة المحترمة لا يجوز لها الخروج من منزلها. في تلك السنة كنت صديقًا لجيم، وأثناء الافتتاحات - التي أصبحت جزءًا لا يتجزأ من حياتنا - كان يقول: اليوم سوف يأتي أبي.. وبعد فترة قصيرة: أترونه؟ الرجل ذو ربطة العنق الكحلية، إنه هناك بجانب الرئيس أليمان. ولكن لم يستطع أحد تمييزه بين الرؤوس المشطة بمثبت الشعر "جلوستورا". ولكن كثيرًا ما كانت تنشر صوره، و يحمل جيم القصاصات في حقيبة ظهره. هل رأيت والدي في جريدة إكسيلسيور؟. شيء غريب، إنكما لا تشبهان بعضكما في أي شيء. حسنًا، يقولون إنني أشبه أمي، سوف أشبهه حينما أصبح أكبر سنًا.

ـ 3 ـ

على بابا والأربعين حرامي

كان غريبًا أن يدرس جيم - ابن صديق ميجل أليمان الحميم، صاحب النفوذ - في مدرسة قليلة الشأن كهذه؛ ندرس فيها نحن الذين نعيش في حي روما الذي يتدهور به الحال يومًا بعد يوم. فأبوه يشغل منصبًا في غاية الأهمية في الحكومة وله تأثير حاسم في الصفقات التجارية، يربح الملايين والملايين في كل مبادرة للرئيس، يوقع عقودًا في كل مكان: أراض في أكابولكو، تصريحات استيراد، إنشاءات وتراخيص لإقامة فروع لشركات أمريكية،"أسبستوس"، قوانين تصدر لتغطية كل أسطح المنازل بخزانات مياه مصنعة من مادة الأسبستوس المسرطنة، سرقة الألبان المجففة التي تقدم في وجبات الإفطار المجانية في المدارس الحكومية وبيعها من الباطن، لقاحات وأدوية فاسدة، عمليات تهريب ضخمة للذهب والفضة، مساحات شاسعة من الأراضي مُشتراة بأبخس الأسعار للمتر قبل الإعلان عن تمهيدها أو إقامة مشروعات إنشائية بها بأسابيع قليلة، الأمر الذي يرفع من قيمتها عشرات الأضعاف، تحويل مئات الملايين من البيزوهات إلى دولارات تودع في بنوك في سويسرا قبل انخفاض قيمة العملة بيوم واحد.

والأغرب من ذلك أن جيم يعيش مع أمه في شقة متواضعة قريبة من المدرسة في الطابق الثالث وليس في بيت من بيوت حي لاس لوماس أو بولانكو على الأقل. شيء لا يمكن تفسيره. إنك تبالغ – هكذا يقولون أثناء فترات الراحة – إن والدة جيم ما هي إلا عشيقة هذا الرجل. وزوجته امرأة عجوز مروعة يُكتب عنها كثيرًا في الصحف. سوف ترى صورها عندما يذكرون شيئًا عن الأطفال الفقراء (ها.. ها.. يقول أبي إنهم يجعلونهم فقراء أولاً ثم يتصدقون عليهم). إنها امرأة مخيفة وبدينة جدًا، تشبه الببغاء أو الماموث؛ في حين أن أم جيم شابة صغيرة، في غاية الجمال، لدرجة أن البعض يعتقد أنها أخته. يقول أيالا: إنه ليس ابنًا لهذا التيس النشال الذي ينهب المكسيك، وإنما هو ابن لصحفي أمريكي أخذ الأم إلى سان فرانسيسكو ولم يتزوج بها قط. أما هذا السينيور، صديق الرئيس، فهو يُسيء معاملة جيم المسكين. يقولون إن له زوجات في كل مكان، حتى نجمات سينما وكل هذه الأشياء؛ والدة جيم مجرد واحدة من بين الكثيرات.

أجبتهم أنا: هذا كلام غير صحيح.. لا تكونوا هكذا. أترضون أن يتحدث أحد عن أمهاتكم بمثل هذه الطريقة؟. لم يجرؤ أحد أن يقول كل هذه الأشياء في وجود جيم؛ ولكنه – كما لو كان يخمن أن هذه الأحاديث تدور من خلف ظهره – كان يقول مؤكدًا: أرى أبي قليلاً لأنه دائمًا بالخارج، يعمل في خدمة المكسيك. يجيبه ألكارات: نعم نعم، صحيح، "يعمل في خدمة المكسيك": علي بابا والأربعين حرامي. يقولون في بيتي إنهم يسرقون حتى ما لم يكن موجودًا. كل من هم في حكومة أليمان عبارة عن حفنة من اللصوص. إذن فليشتر لك قميصًا آخر بما يسرقه منا.

يتشاجر جيم معهم ويقرر ألا يتحدث مع أي منهم. لا أعرف ماذا سيفعل إذا علم بالشائعات التي تُقال عن أمه. (يحد زملاؤنا من الهجوم على السينيور في حضوره). أصبحنا أنا وجيم صديقين لأنني لا أصدر

أحكامًا ضده، إنه لم يُذنب في شيء. لا يختار أحد والديه ولا كيف وأين ومتى يولد. لن ندخل في معارك أثناء فترة الراحة، اليوم احتل اليهود القدس، وغدًا سينتقم منهم العرب.

في أيام الجمع، عندما نخرج من المدرسة، أذهب مع جيم إلى سينمات روما والرويال والبالموري التي لم تعد موجودة الآن. نشاهد أفلامًا للكلبة لاسي أو لإليزابيث تايلور عندما كانت مراهقة. أما البرنامج السينمائي المفضل لدينا فكان يتكون من ثلاثة أفلام رأيناها ألف مرة:"فرانكشتين"، "دراكولا"، و"الرجل الذئب". أو برنامج مزدوج يعرضون فيه فيلمين: "مغامرات في بيرمانيا" و"الرب هو مساعدي على الطائرة". أو نشاهد فيلمًا كان الأب بيريث ديل بايي يحب عرضه أيام الآحاد في نادي الطلائع التابع له: "وداعًا أستاذ شيبس". ينتابني حزن شديد عندما أراه، تمامًا مثل فيلم "بامبي". عندما رأيت هذا الفيلم لوالت ديزني وأنا في الثالثة أو الرابعة من عمري، أخرجوني من السينما باكيًا لأن الصيادين يقتلون أم الغزالة بامبي. في الحرب كانوا يقتلون الملايين من الأمهات، لكني لم أكن أعرف. لم أبكِ من أجلهن أو من أجل أبنائهن؛ على الرغم من أنهن في السينما لاند – بالإضافة إلى الدونالد دك وميكي ماوس وباباي ونقار الخشب وباغز باني – كانوا يقدمون النشرة الإخبارية: قنابل تتسبب في تدمير مدن بأكملها، مدافع ومعارك وحرائق وأنقاض وضحايا.

ـ 4 ـ

مكان في الوسط

كان لديّ إخوة كثيرون ولهذا لم أتمكن من دعوة جيم إلى منزلي. تُعيد أمي دائمًا ترتيب كل ما نتركه مُلقى خلفنا بالإضافة إلى الطبخ وغسل الملابس. تتلهف على شراء الغسالة والمكنسة والخلاط وحلة الطهي بضغط البخار والثلاجة الكهربائية، (فثلاجتنا كانت من تلك الأنواع التي تعمل بكتلة من الثلج الذي يجب تغييره كل صباح). في تلك الفترة لم تر أمي سوى ذلك الأفق الضيق الذي لا يتعدى حدود منزلها، كانت تبغض كل مَن هم ليسوا من خاليسكو، فهم بالنسبة لها أجانب، وتنفر بشكل خاص من كل مَن يأتي من العاصمة. تكره حي روما لأن العائلات الراقية بدأت ترحل منه، وفي هذه السنوات بدأ يسكنه عرب ويهود ومهاجرون من الجنوب: من ولايات كامبيتشي، وتشياباس، وتاباسكو، ويوكاتان. كانت تتشاجر مع هيكتور الذي أصبح في العشرين من عمره وبدلاً من أن ينتظم في الجامعة القومية حيث كان مقيدًا، كان يقضي الأسابيع بين نادي سوينج وصالات البلياردو وحانات الخمور وبيوت الدعارة. كان يعشق التحدث عن النساء والسياسة والسيارات. يقول: يشكون كثيرًا من الحكم العسكري، ولا يرون

كيف تسير أحوال البلاد عندما يحكمها واحد من المدنيين. ستتحسن أحوال المكسيك على يد اللواء هينريكيث جوثمان مثل الأرجنتين على يد بيرون. سترون كيف ستصير الأحوال هنا في عام 1952 . مللت التفكير في أن هينريكيث جوثمان، سواء كان مع الحزب الثوري المؤسسي (PRI) أو ضده، سيصبح رئيسًا للمكسيك.

كان أبي حبيس مصنع الصابون الخاص به، والذي كان ينهار أمام المنافسة القوية والدعاية عن أنواع المنظفات الأمريكية. يعلنون في الإذاعة عن مساحيق الغسيل الجديدة: آسي وفاب وفيل، ويؤكدون أن الصابون لم يعد ملائمًا للعصر. تلك الرغوة التي تعني للجميع نظافة ورفاهية وراحة (لم يدركوا ضررها بعد)، والتي تعني للنساء التحرر من الوقوف ساعات لا نهائية في حجرة الغسيل، بالنسبة لنا كانت بمثابة الأمواج التي تسحق معها كل امتيازاتنا.

أصدر مونسينيور مارتينيث، رئيس أساقفة المكسيك، أمرًا بالصلاة والدعاء كي لا تتقدم الشيوعية. لن أنسى هذا اليوم: في وقت الراحة كنت أعرض على جيم كتابي الصغير العظيم، كانت روايات موضحة بالرسوم وفي الطرف العلوي من الصفحة توجد "سينما مصغرة" (رسومات تبدو كأنها تتحرك إذا تم تقليب الصفحات بالإبهام سريعًا). صاح روساليس – الذي لم يتعرض لي من قبل – قائلاً: انظروا، إن هذين الاثنين مثليّان، هيا، لنضربهما. عندها انهلتُ عليه ضربًا. أحضر لي أمك وسوف ترى من هو المثلي يا ابن العاهرة، إنك هندي قذر. فصل المدرس بيننا بعد أن جُرحت إحدى شفتيّ، وهو ينزف الدم من أنفه ملطخًا قميصه.

بفضل المشاجرة علمني أبي ألا أحتقر أحدًا، سألني مَع من تشاجرت. لقد قلت لروساليس إنه "هندي". قال لي أبي: إننا كلنا كنا هنودًا في المكسيك، حتى إذا لم نعرف ذلك أو لم نشأ أن نعرف. إذا لم يكن الهنود هم أنفسهم الفقراء لما كان أحد استخدم كلمة "هندي" ليسب بها الآخرين.

عايرت روساليس لأنه مفلس. أوضح لي أبي أنه لا أحد يختار العيش فقيرًا، وقبل الحكم بشكل خطأ على أي شخص كان عليّ أن أفكر أولاً إذا كانت قد أُتيحت له نفس الفرص التي سنحت أمامي.

كنت مليونيرًا بالنسبة لروساليس، وشحاذًا بالنسبة لهاري آثيرتون. السنة الماضية، عندما كنا لا نزال ندرس في مدرسة المكسيك، دعاني هاري آثيرتون مرة واحدة فقط في منزله في حي لاس لوماس: صالة بلياردو في الطابق الأرضي، حمام سباحة، مكتبة تحتوي على آلاف المجلدات المغلفة بأغلفة فخمة، مستودع للمؤن، غرفة مخصصة لحفظ الخمور، قاعة ألعاب رياضية، ساونا، ملعب تنس، ست حمامات. (لماذا تحتوي البيوت الغنية في المكسيك على كل هذه الحمامات؟). تطل غرفته على حديقة منحدرة مليئة بالأشجار القديمة والشلالات الصناعية. لقد أدخلوا هاري مدرسة المكسيك وليس المدرسة الأمريكية لكي يتعلم شيئًا من اللغة الإسبانية ويعتاد التعامل منذ صغره مع الذين سوف يصبحون يومًا ما مساعدين له، ورؤساء صوريين لمشروعاته الضخمة، وخدمه وتلاميذه الأبديين.

لنتناول العشاء. لم يوجه لي والداه أية كلمة وكانوا يتحدثون طوال الوقت بالإنجليزية.

Honey, how do you like the little Spic? He's a midget, isn't he? Oh, Jack, please. Maybe the poor kid is catching on. Don't worry, dear, he wouldn't understand a thing (*).

اليوم التالي قال لي هاري: سأنصحك نصيحة، عليك أن تتعلم كيفية استخدام أدوات المائدة. لقد أكلت بالأمس شريحة اللحم بشوكة السمك، كذلك لا تصدر صوتًا بينما تحتسي الشوربة، لا تتحدث وفمك مليء بالطعام، تناول قطعًا صغيرة وامضغها ببطء.

(*) مارأيك يا حبيبي في هذا الصغير المتحدث بالإسبانية؟ إنه قزم أليس كذلك؟ جاك، من فضلك. لعله يفهم ما تقول لا تقلقي ياعزيزتي، لن يفهم شيئًا (المترجم).

حدث معي العكس تماماً مع روساليس عندما تعرفته في المدرسة التي التحقت بها لتوي، إذ إن أبي لم يقدر على دفع نفقات التعليم في مدرسة المكسيك بعد الأزمة التي مر بها مصنعه. ذهبت يوماً إلى بيت روساليس لنسخ مذكرة التربية الوطنية. كان طالباً ممتازاً، صاحب أحسن خط وأقل من كان لديه أخطاء إملائية، فكنا نستغله جميعاً ليساعدنا في عمل الواجبات. كان يعيش في مجمع سكني مسنود بدعائم خشبية. البالوعات عديمة الفائدة، كانت تغرق الفناء، ويطفو البراز على سطح المياه المائلة إلى الخضرة.

كانت تبدو أمه في الخمسين من العمر وهي لم تزل بعد في السابعة والعشرين. استقبلتني استقبالاً حاراً، وبالرغم من أن روساليس لم يدعوني لزيارته، فإنها جعلت لي نصيباً من العشاء. أكلنا شطائر محشوة بالمخ. شعرت بالقرف. كانت تسيل منها دهون غريبة جداً شبيهة بزيت السيارات. ينام روساليس على حصيرة في الردهة، فقد طرده عشيق أمه الجديد من الغرفة الوحيدة في المنزل.

ـ 5 ـ

مهما كان عمق البحر

اقتنع جيم بعد المشاجرة بأنني صديقه. في يوم من أيام الجمع فعل ما لم يفعله من قبل: دعاني إلى الغداء في منزله. للأسف لا أستطيع دعوته في بيتي. صعدنا إلى الطابق الثالث ثم فتح الباب بالمفتاح. إنني أستخدم المفتاح لأن أمي لا تحب أن يعمل لديها خادمات. تفوح من الشقة رائحة عطر ذكية. كانت مرتبة ونظيفة جداً. أثاث جديد من شركة سيرز روباك الأمريكية. رأيت صورة للسيدة ماريانا التقطها المصور سيمو، وأخرى لجيم أمام جسر البوابة الذهبية عندما كان عمره عامًا واحدًا، وصوراًعديدة للسينيور بجانب الرئيس أثناء الافتتاحات والاحتفالات الرسمية وبداخل قطار الرئاسة الزيتوني وفي طائرة المكسيكانو وصوراً جماعية أخرى. ميجل أليمان "شبل الثورة" وفريقه: أول جامعيين يحكمون البلاد. رجال أعمال وليسوا سياسيين. يصر الإعلام على أنهم شخصيات ذات أخلاق سامية ويتصفون بالنزاهة.

لم يخطر ببالي قط أن والدة جيم ستكون بهذا الشباب والأناقة وخاصة بهذا الجمال. لم أعرف ماذا أقول لها.. شعرت بإحساس لا

يوصيف عندما مدت إليّ يدها لتصافحني. كنت أود لو أبقى هناك أبدًا ناظرًا إلى عينيها. تفضلوا في غرفة جيم، سوف أنتهي الآن من إعداد الغداء. عرض عليَّ جيم ما لديه من مجموعة أقلام حبر (الأقلام الجافة المصنعة حديثًا كان لا يزال لها رائحة نتنة، يسيل منها حبر لزج، وكانت تعد من أحدث أقلام الموسم التي استخدمناها ولآخر مرة محبرة ومقبض ونشافة)، والألعاب التي اشتراها له السينيور من الولايات المتحدة الأمريكية: مدفع إطلاق صواريخ، طائرات حربية نفاثة، جنود يحملون قاذفات لهب، دبابات، مدفع رشاش من البلاستيك (كانت الصناعات البلاستيكية قد بدأت لتوها)، قطار ليونيل الكهربائي، راديو محمول. لا أحضر أيًا من هذه الأشياء معي في المدرسة لأن لا أحد في المكسيك لديه كل هذه الألعاب. بالطبع لا، نحن – معشر أطفال الحرب العالمية الثانية – لم يكن لدينا ألعاب، جميعها كانت منتجات حربية. قرأت في مجلة سيليكسيونيس أنه حتى شركات باركر وإستيربروك قامت بتصنيع معدات حربية بدلاً من الأقلام. لكنني لم أكن مهتمًا بالألعاب. اسمع، ذكرني باسم والدتك؟. ماريانا. أناديها باسمها مباشرة لا أقول لها يا أمي. وماذا عنك؟. لا، إن الوضع يختلف بالنسبة لي، عليّ أن أُسبق حديثي معها بكلمة "حضرتك"؛ وهي تفعل الشيء نفسه مع جدودي. لا تسخر مني يا جيم، لا تضحك.

قالت ماريانا: هيا لنأكل. جلسنا معًا وأنا في مواجهتها، أنظر إليها. لا أعرف ماذا أفعل: هل أمتنع عن الطعام، أم ألتهم كل شيء لأجاملها؟ إذا أكلت ستحسب أنني جوعان، وإذا لم آكل سوف تعتقد أن طعامها لم يعجبني. امضغ ببطء، لا تتحدث وفمك مملوء بالطعام. عمَ يمكننا أن نتحدث؟. من حسن الحظ كسرت ماريانا حاجز الصمت وقالت: ما رأيك فيهم؟ يسمونها Flying Saucers أو الأطباق الطائرة، إنها شطائر محمصة في هذا الجهاز. لقد أعجبتني جدًا يا سيدتي، لم آكل من قبل بهذه الشهية

المفتوحة.عيش بيمبو، فخذ خنزير، جبن كرافت الأمريكي، لحوم مدخنة، زبد وكاتشب ومايونيز ومستردة. وهو ما يتناقض تماماً مع ما تعده أمي من البوثولي المكسيكي، البيريا، وشطائر الخبز المحمصة المحشوة باللحم، وجلد الخنزير المحمر في الصلصة الخضراء. هل تريد طبقاً طائراً آخر؟ سوف يسرني أن أعد لك المزيد. لا، أشكرك بشدة يا سيدتي، كانت وجبة شهية جداً، ولكن لا عليك، لقد شبعت.

هي لم تأكل شيئاً، بل كانت تتحدث إليّ طوال الوقت. ظل جيم صامتاً يأكل الواحد تلو الآخر من تلك الأطباق الطائرة. سألتني ماريانا: ماذا يعمل أبوك؟. شعرت بالأسف عندما أجبتها بأنه صاحب مصنع لصابون الحمامات وحجرات الغسيل.. إلا أن المساحيق في طريقها للقضاء عليه. حقاً؟! لم يخطر ذلك ببالي قط. لحظات صمت. كم عدد إخوتك؟ ثلاث أخوات وأخ واحد. هل هم من هنا، هل ولدوا في العاصمة؟. فقط أصغرنا وأنا، أما الباقون فقد ولدوا في جوادالاخارا (مدينة وادي الحجارة). كنا نعيش في بيت كبير جداً في شارع سان فرانسيسكو، إلا أنهم قاموا بهدمه. هل تحب مدرستك؟. نعم، لا أكرهها على الرغم من أن زملاءنا مزعجون بعض الشيء، أليس كذلك يا جيم؟.

حسناً سيدتي، عليّ أن أرحل (كيف أوضح لها أنهم سيعاقبونني أشد عقاب إذا عدت إلى المنزل بعد الثامنة؟). ألف شكر يا سيدتي، كانت وجبة شهية جداً، سوف أقول لأمي أن تشتري المشواة وتعد لي أطباقاً طائرة. هنا يشاركنا جيم الحديث لأول مرة: لن تجدها في المكسيك، إذا شئت سأشتري لك واحدة عندما أذهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

البيت بيتك يا كارلوس، كرر زيارتك لنا. أشكرك مجدداً يا سيدتي، شكراً يا جيم أراك الاثنين. كم وددت أن أظل هناك للأبد، أو على الأقل أن آخذ معي صورتها المعلقة بالردهة. ذهبت سيراً إلى تاباسكو ثم انعطفت إلى شارع قرطبة لكي أصل إلى بيتي في ثاكاتيكاس. أعمدة الإنارة الفضية

تشع ضوءًا خافتًا، مدينة شبه مظلمة، إنه حي روما القديم الذي يحمل بداخله الكثير من الأسرار. ذرّة صغيرة في وسط عالم ضخم، ظهرت للوجود قبل ميلادي بسنوات طويلة كما لو كانت مسرحًا للأحداث التي أمرُّ بها الآن. تناهت إلى مسامعي نغمات موسيقى البوليرو الصادرة من خزانة الفونوغراف الآلي. حتى هذه اللحظة كانت المقطوعات الموسيقية فقط عبارة عن النشيد الوطني، أناشيد مايو الكنائسية، أغاني الأطفال التي يؤلفها ويلحنها كري كري: الأفراس الصغيرة، مسيرة الحروف، البطيخة السوداء، الفأر راعي البقر وخوان بيستانياس، بالإضافة إلى نغمات موسيقى رافيل الدافئة والعذبة التي تبدأ بها محطة "إكس. إي. كيو" بثها الإذاعي اليومي في السادسة والنصف، وعندها كان أبي يُدير زر المذياع كي يوقظني بصخب برنامج كتيبة مادروجادوريس. عندما سمعت البوليرو الآخر الذي ليس له صلة بذلك الذي ألفه رافيل، جذبت كلماته انتباهي: "مهما كان بُعد السماء ، وعمق البحر.."

نظرت إلى شارع ألبارو أوبريجون وقلت لنفسي: سوف أظل متمسكًا بهذه الذكرى داخلي لأن كل ما يحدث الآن لن يتكرر فيما بعد. يومًا ما سوف يبدو لي كل شيء كأنه جزء من عصور ما قبل التاريخ السحيقة. سأحافظ على هذه الذكرى لأنني وقعت اليوم في حب ماريانا. ماذا سيحدث؟ لا شيء. من المستحيل أن يحدث شيء. ماذا أفعل؟ هل ألتحق بمدرسة أخرى حتى لا أرى جيم وبالتالي ماريانا؟ هل أبحث عن طفلة من نفس عمري؟ ولكن في مثل هذه السن لا يمكن لأحد أن يبحث عن أي طفلة. يمكن له فقط أن يحب سرًا، في صمت، مثلما أحب ماريانا. أحبها وأنا على يقين تام أن شيئًا لن يحدث ولا ينبغي أن أتعلق بآمال لن تتحقق.

ـ 6 ـ

هاجس

لقد تأخرت كثيرًا. قلت لك يا أمي إنني سوف أتناول الغداء في بيت جيم. نعم، ولكن لم يسمح لك أحد بالعودة في هذه الساعة المتأخرة من الوقت، إنها الثامنة والنصف. لقد أقلقتني كثيرًا، حسبت أنهم قتلوك أو أن الرجل ذا المخلاة قد اختطفك. ترى ماذا أكلت من قاذورات، من يدري من هم أهل صديقك هذا. هل هذا هو الذي تذهب معه إلى السينما؟.

نعم. إن أباه رجل مهم جدًا، يعمل في الحكومة. في الحكومة؟! ويعيش في هذا المبنى العفن؟ لماذا لم تحك لي من قبل؟ ما اسمه؟ مستحيل؛ إنني أعرف زوجته إنها صديقة حميمة لخالتك إلينا. ليس لديهم أبناء، إنها مأساة بالرغم من كل هذا النفوذ والغنى. لقد خُدعت يا كارليتوس، لا أعرف ما هدفهم من ذلك لكنني متأكدة مما أقوله لك، إنهم يسخرون منك. سوف أسأل معلمك أن يكشف لي هذا اللغز. لا، من فضلِك، أرجوكِ ألا تقولي شيئًا لموندراجون. ماذا ستقول والدة جيم إذا علمت بذلك؟ إنها كانت لطيفة جدًا معي. هذا ما كان ينقصني، قل لي ما سرك؟ قل الحقيقة، ألم تذهب إلى بيت صديقك جيم هذا؟

استطعت أخيرًا إقناع أمي ألا تتحدث مع معلمي، إلا أنه ظل لديها شك في أن شيئًا غريبًا قد حدث. قضيت إجازة نهاية الأسبوع في حزن شديد. عدت طفلاً من جديد ألعب في ميدان أخوسكو بعرباتي الخشبية، ذلك الميدان الذي كانوا يأخذونني إليه وأنا طفل رضيع لأجلس تحت أشعة الشمس وحيث تعلمت المشي. تنتمي بيوته إلى عهد الرئيس بورفيريو دياث والبعض منها قد هدم لتحل محلها عمارات قبيحة، نافورته التي تأخذ شكل زهرة النفل البنفسجي تملأها حشرات طافية على سطح الماء. تعيش السيدة سارة ب. دي ماديرو بين بيتي والحديقة. كان شيئًا لا يصدق أن أرى، ولو من بعيد، شخصًا تتحدث عنه كتب التاريخ، بعد أن لعب دور بطولة في أحداث وقعت منذ أربعين عامًا، إنها تلك العجوز الهشة، الجديرة بالاحترام، لا تزال في ملابس الحداد من أجل زوجها الذي تم اغتياله.

بينما ألعب في ميدان أخوسكو كان جزء مني يعقل الأمور: كيف يمكن لك أن تقع في حب ماريانا وقد رأيتها مرة واحدة فقط وتعرف أنها في مثل سن والدتك؟ إنها مجرد حماقة وسذاجة؛ فمن المستحيل أن تكّن لك نفس مشاعر الحب. أما الجزء الآخر منّي، وهو المسيطر، فقد أصم أذنيه عن كل تعقل أو تفكير: ظللت أكرر اسمها بلا توقف؛ وكأن النطق به مرة بعد مرة سيقربها إليّ.

يوم الاثنين كان أسوأ، قال لي جيم: لقد نلت إعجاب أمي وراق لها أننا صديقان. فكرت: إنها إذن تعرف أنني موجود. تنبهت - ولو قليلاً - إلى مدى تأثيرها فيّ. خلال أسابيع وأسابيع كنت أسأل جيم عنها متعللاً بأي حجة حتى لا أثير شكوكه، محاولاً إخفاء اهتمامي بها وفي الوقت نفسه أن أحصل على أكبر قدر من المعلومات عنها. لم يقل لي جيم أي معلومة جديدة عن ماريانا، وعلى ما يبدو أنه يجهل قصته الشخصية. شيء مثير للدهشة أن يعرفها الآخرون. مرة بعد أخرى كنت أرجوه أن يدعوني إلى

منزله لأرى ألعابه وكتبه ومجلاته المصورة. يقرأ جيم قصصًا مصورة بالإنجليزية اشترتها له ماريانا من محلات سان بورنز. لهذا كان يحتقر قراءاتنا: بيبين وباكين وتشاماكو وكارتونيس، وهكذا البيبكين الأرجنتيني والبينيكا الشيليّ الذي يحظى بهما القليلون.

كالعادة كان علينا القيام بكثير من الواجبات المدرسية، فكانت أيام الجمعة هي فقط المتاحة لزيارة جيم. وفي هذا الوقت تذهب ماريانا إلى صالون التجميل لتعد نفسها للخروج مع السينيور ليلاً. تعود إلى منزلها في الثامنة والنصف أو التاسعة فلا أستطيع أبدًا البقاء لانتظارها. تترك الغداء معدًا في الثلاجة: سلطة دجاج، سلطة كرنب أو "كول- سلو"، لحوم باردة وفطيرة تفاح. عندما فتح جيم دولابه ذات مرة سقطت صورة فوتوغرافية لماريانا وهي في الشهر السادس من عمرها، كانت عارية ومتمددة فوق بساط من جلد النمر. انتابني شعور جارف بالحنان عندما فكرت في شيء لم يخطر ببالي من شدة جلائه: ماريانا كانت طفلة في يوم ما، مرت بنفس مرحلتي العمرية، وكانت ستصبح سيدة مثل أمي ثم عجوزًا مثل جدتي. إلا أنها حينذاك كانت أجمل سيدة في العالم.. إنني أفكر فيها في كل لحظة. لقد أصبحت ماريانا هاجسًا متسلطًا على عقلي. "مهما كان بُعد السماء، وعمق البحر.."

ـ 7 ـ

يوم لن يتكرر

إلى أن جاء أحد الأيام – من تلك الأيام الملبدة بالغيوم التي لا تروق لأحد غيري – شعرت أنه من المستحيل أن أقاوم أكثر من ذلك. كنا في حصة لغة إسبانية أو لغة قومية كما نسميها. كان يشرح لنا موندراجون تصريفات أفعال زمن الماضي التام الشرطيّ: لو كنت أحببت، لو كنت تحب، لو كنا أحببنا، لو كنتم أحببتم، لو كانوا أحبوا. كانت الحادية عشرة استأذنت لكي أذهب إلى دورة المياه ثم تسللت خفية خارج المدرسة. دققت جرس باب شقة رقم 4 مرة.. اثنان.. ثلاث مرات. أخيرًا فتحت لي ماريانا: غضة، حسناء، يخلو وجهها من مساحيق التجميل، ترتدي ثوبًا فضفاضًا حريريًا، وتمسك في يدها موسًا مثل الذي يستخدمه أبي ولكن أصغر حجمًا. كانت تزيل شعر إبطيها وساقيها عندما وصلت، وبالطبع اندهشت عندما رأتني. كارلوس.. ماذا تفعل هنا؟ هل حدث شيء لجيم؟. لا، لا يا سيدتي، جيم بخير، لم يحدث له شيء.

جلسنا على الأريكة، ووضعت ماريانا رجلاً على رجل فانزلق ثوبها من على ساقيها لجزء من الثانية.. الركبتان، الفخذان، النهدان، البطن

المستوي، والعضو التناسلي الخفي.. قلت لها مجدداً: لم يحدث شيء. إن الـ.. لا أعرف ماذا أقول لك يا سيدتي.. أشعر بالخجل، ترى كيف ستصبح نظرتك لي؟. كارلوس، إنني حقًا لا أفهمك، أتعجب لرؤيتك هكذا وفي هذه الساعة، من المفترض أن تكون في مدرستك الآن، أليس كذلك؟. نعم، بالطبع.. لكنني لم أعد أحتمل أكثر من ذلك. لقد هربت، خرجت من المدرسة دون إذن. وإذا علموا بذلك فسيطردونني. لا يعرف أحد أنني معكِ، أرجوكِ ألا تقولي لأحد إنني جئت إلى هنا، وبالأخص جيم، أتوسل إليكِ، عديني بذلك.

لماذا أنت ثائر هكذا؟ هل حدثت مشكلة في بيتك أو مدرستك؟ هل تريد بعض الكاكاو باللبن أو الكوكاكولا أو بعضًا من المياه المعدنية؟، ثق بي، قل لي كيف يمكنني مساعدتك. لا، لا يمكنك مساعدتي. لمَ لا يا صغيري؟. لأنني جئت إلى هنا لأقول لك – بدون مواربة وسامحيني على ذلك – إنني أحبك.

اعتقدت أنها ستسخر مني، ستصيح في وجهي: أنت مجنون، أو اخرج من هنا الآن. سوف أخبر والديك ومعلمك. خشيت من كل هذه الردود المتوقعة، إنه أمر طبيعي. مع ذلك لم تغضب ماريانا ولم تسخر مني. ظلت تنظر إليّ في حزن شديد. أمسكت بيدي (لن أنسى هذه اللحظة أبدًا) وقالت لي: أتفهم موقفك تمامًا، لدرجة لا يمكنك تخيلها. الآن عليك أن تفهمني أنت وتضع في الاعتبار أنك طفل صغير مثل ابني وأنني امرأة عجوز بالنسبة لك، لقد أتممت لتوي الثامنة والعشرين. ولذلك من المستحيل أن يكون هناك أي شيء بيننا الآن أو فيما بعد. أتفهمني؟ لا أريد أن أتسبب في معاناتك. لايزال هناك الكثير من المساوئ تنتظرك أيها المسكين. كارلوس، اعتبر الأمر مجرد مزحة، مصدرًا لسعادتك، شيئًا عندما تكبر تتذكره بابتسامة، وليس باستياء. قم بزيارتنا مجدداً مع جيم وتعامل معي كما أنا: والدة أعز صديق لك. لا تتوقف عن المجيء مع جيم، كأن شيئًا لم يكن، حتى تستطيع التغلب على الـ infatuation آسفة.. أقصد

الحب – فلا يسبب لك الأمر مشكلة، أو يتحول إلى مأساة تترك في نفسك أثرًا طوال حياتك.

شعرت برغبة في البكاء، إلا أنني تمالكت نفسي وقلت: إنك على حق يا سيدتي، إنني أفهم ما تقصدينه، أشكرك بشدة على هذا التصرف وسامحيني. على كل حال كان عليّ أن أعترف لك وإلا مت مختنقًا. إنك لم تذنب في شيء يا كارلوس. لقد أعجبتني صراحتك ومواجهتك للأشياء. أرجوكِ ألا تقولي شيئًا لجيم. لن أحكي له شيئًا، اطمئن.

تركت يدها ثم شرعت في الخروج، وعندئذ أوقفتني ماريانا: قبل أن ترحل هل يمكنني أن أطلب منك شيئًا؟ دعني أقبلك. وقبلتني قبلة سريعة ليس في شفتي تمامًا ولكن قريبا منهما، مثل القبلة التي تقبلها لجيم قبل أن يذهب إلى المدرسة. ارتجفت، لم أقبلها ولم أقل شيئًا بل نزلت جريًا على الدرج. بدلاً من العودة إلى المدرسة ذهبت سيرًا إلى إينسورخينتيس. بعد ذلك وصلت بيتي في حالة ارتباك شديد وتعللت بأنني مريض وأحتاج إلى راحة.

ولكن معلمي كان قد اتصل بالمنزل للتو، عندما تنبهوا لغيابي بحثوا عني في دورات المياه وكل أنحاء المدرسة. أكد جيم: على ما يبدو أنه ذهب لزيارة أمي. في هذه الساعة؟. نعم، إن كارلوس شخص غريب الأطوار، لا أحد يعرف ما يُكنّه من أسرار.. أنا أعتقد أنه مصاب بخلل ما في عقله، لديه أخ من رجال العصابات وعلى حافة الجنون.

ذهب موندراجون وجيم إلى الشقة. اعترفتِ ماريانا بأنني كنت موجودًا هناك منذ دقائق حيث إنني الجمعة الماضية نسيت كتاب التاريخ. أما جيم فقد ثار غضبه لتلك الأكذوبة، لا أعرف كيف، إلا أنه رأى كل شيء بوضوح وقام بإخبار معلمه. اتصل موندراجون بالمصنع والبيت ليُخبر والديّ بما فعلت. وعلى الرغم من أن ماريانا كانت تنكر ما حدث، فقد جعلني نكرانها موضع شك أكبر بالنسبة لجيم وموندراجون ووالديّ.

ـ 8 ـ

أمير هذا العالم

لم أتوقع قط أن تصدر منك تلك الأفعال الهمجية، أرأيت هنا مثل هذه النماذج السيئة من قبل؟ قل لي إذن إن هيكتور هو الذي حرضك على هذا الفعل المشين. من يقود طفلاً صغيرًا إلى الفساد يستحق عذاب جهنم. هيا، تحدث، لا تجهش بالبكاء هكذا مثل العاهرات، هل أخوك هيكتور هو الذي أقنعك بارتكاب تلك الحماقات؟.

اسمعي يا أمي من فضلك.. لا أرى أنني فعلت شيئًا سيئًا لهذه الدرجة. هل وصلت بك الوقاحة إلى أن تدافع عما فعلت؟. بمجرد أن تشفى من الحمى ستذهب إلى الكنيسة للاعتراف والتناول عسى أن يغفر لك الرب خطيئتك.

أما أبي فلم ينهرني، فقط اكتفى بأن يقول: هذا الطفل ليس طبيعيًا، لديه خلل ما في عقله، على ما يبدو أنه بسبب الضربة التي تلقاها وهو في شهره السادس عندما سقط منا في ميدان أخوسكو. سوف أعرضه على أخصائي.

كلنا منافقون، لا نستطيع أن نرى ونحاسب أنفسنا مثلما نرى الآخرين ونحاكمهم. حتى أنا الذي دائمًا لا أدري بما يدور حولي، كنت أعرف أن أبي يعول منذ سنوات بيت سكيرتيرته السابقة وله منها ابنتان. تذكرت ما حدث ذات مرة عندما كنت في صالون حلاقة منتظرًا دوري. رأيت مجلتيّ "بيا" و"بوديبيل" بجانب مجلات سياسية أخرى، انتهزت فرصة أن الحلاق وزبونه كانا منهمكين في انتقاداتهما للحكومة وأخفيت "بيا" بين صفحات جريدة "آوي" وبدأت أنظر إلى صور الراقصات تونجوليلي وسو موي كي وكالانتان شبه العاريات. الساقين، النهدين، الفم، الخصر، الأرداف، والعضو التناسلي الخفي.

رأى الحلاق - الذي يحلق لأبي ذقنه كل يوم ويقص لي شعري منذ أن كان عمري عامًا واحدًا - تعبيرات وجهي في المرآة. اترك هذا يا كارليتوس، إنها أشياء للكبار.. اتركها وإلا سوف أخبر أباك. ففكرت: إذن طالما مازلت طفلاً ليس لديك الحق في أن تبدي إعجابك بالنساء، وإذا تعديت ما هو مفروض عليك فهذه فضيحة كبيرة وسيحسبونك مختلاً عقليًا. يا له من ظلم.

سألت نفسي متى كانت المرة الأولى التي شعرت فيها بالرغبة؟ ربما السنة الماضية، في سينما تشابولتيبيك، أمام أكتاف جينيفر جونز العارية في فيلم Duel in the sun أو ربما حينما رأيت ساقيّ أنتونيا عندما رفعت تنورتها لتمسح الأرض المدهونة باللون الأصفر الداكن. كانت فتاة جميلة جدًا تحسن معاملتي، مع ذلك كنت أقول لها إنها قاسية لأنها تقوم بخنق الدجاج. أشعر بالحزن والشفقة عندما أراه يتعذب هكذا. من الأفضل شراؤه مذبوحًا ومنتوف الريش. إلا أن هذه العادة كانت قد بدأت للتو. رحلت أنتونيا لأن هيكتور كان يزعجها دائمًا.

منعوني من الذهاب إلى المدرسة أو إلى أي مكان آخر منذ ذلك الحين. ذهبنا إلى كنيسة العذراء مريم ديل روساريو حيث كنا نذهب كل أحد

لحضور القداس. قمت بأول تناول لي، وبفضل الذهاب إلى القداس أيام الجمع الأولى من كل شهر أصبح لديّ رصيد من الغفران.

بدأت أمي في التوسل والابتهال لكي أحظى بعفو ورحمة الله ولا تتعرض روحي للعذاب الأبدي. جلست على كرسي الاعتراف وحكيت كل شيء للأب فيران وأنا في غاية الخجل.

سألني في لهفة وبصوت خافت عن بعض التفاصيل: هل كانت عارية؟ هل كان هناك رجل في البيت؟ أتعتقد أنها قد ارتكبت فعلاً نجسًا قبل أن تفتح لك الباب؟ ثم سألني: هل قمت بمداعبة جسدك واستمنيت؟.

لا أعرف ما كل هذا يا أبانا. شرح لي الأمر بتوسع ثم ندم على ما فعل بعد أن تنبه إلى أنه كان يتحدث إلى طفل صغير لا يزال غير قادر بعد على إفراز السوائل المصاحبة للمنيّ، ثم شرع في إلقاء خطبة لم أفهمها: بفعل الخطيئة الأولى أصبح الشيطان هو أمير هذا العالم، ينصب لنا الفخاخ التي تُحيدنا عن حب الله وتقودنا إلى ارتكاب الخطيئة: شوكة أخرى في إكليل الشوك تنخس في رأس يسوع فتشتد عليه آلامه.

قلت: نعم يا أبانا؛ على الرغم من أنني لا أتخيل الشيطان شخصيًا منشغلاً بأن يقودني إلى الغواية، ولا المسيح يتألم لأنني أحب ماريانا. فإنني أبديت نية في التوبة؛ لأن ذلك هو المفترض أن يفعله أي شخص في مثل هذه المواقف. لكنني لم أكن نادمًا ولم أشعر بالذنب؛ الحب ليس خطيئة.. إنه إحساس جميل، الشيء الشيطاني الوحيد هو الكره. في تلك الليلة لم تؤثر فيّ خطبة الأب فيران بقدر إرشاداته العملية واللاإرادية لكيفية ممارسة العادة السرية. عدت إلى البيت وكان لدي رغبة في الاستمناء. لم أفعل. صليت صلاة الأب عشرين مرة وخمسين صلاة للعذراء مريم. ذهبت للتناول في اليوم التالي، ثم اقتادوني ليلاً إلى عيادة الطبيب النفسي ذات الحوائط البيضاء والأثاث المذهب.

ـ 9 ـ

الإنجليزية بالإجبار

استجوبني الطبيب النفسي ودوّن كل ما قلت على أوراق صفراء ذات سطور. لم أعرف بماذا أجيبه؛ كنت أجهل تمامًا مصطلحات مهنته العلمية ولم يوجد شكل من أشكال التواصل بيننا. لم أتخيل قط أنه سيسألني هذه الأشياء عن أمي وأخواتي. جعلوني أرسم كل فرد من أفراد أسرتي وألوّن أشجارًا وبيوتًا. ثم اختبروني اختبار رورشاخ (هل هناك من لا يرى مخلوقات خرافية في بقع الحبر؟)، وآخر يحتوي على أرقام وأشكال هندسية وجمل كان عليّ إكمالها. كانت جملاً بلهاء تمامًا مثل إجاباتي:

"أكثر ما أحب": تسلق الأشجار والصعود على واجهات البيوت القديمة، عصير الليمون بالثلج المجروش، الأيام الممطرة، أفلام المغامرات وروايات إميليو سالجاري. أو الأفضل من كل هذا أن أظل مستيقظًا في سريري. لكن أبي كان يوقظني فى السادسة والنصف يوميًا لممارسة التمارين الرياضية بما فيها أيام السبت والأحد. "أكثر ما أكره": القسوة تجاه الآخرين، التصرف بوحشية مع الحيوانات، العنف، الصراخ، الغرور، استبداد الإخوة الأكبر سنًا، مادة الحساب، أن يتضور البعض جوعًا

ويستحوذ آخرون على كل شيء، أن أجد فصوص ثوم في الأرز أو الطبيخ، تشذيب الأشجار أو تحطيمها، وإلقاء الخبز في القمامة.

تحدثت الفتاة التي قامت بعمل الاختبارات الأخيرة لي مع شخص آخر في حضوري، تحدثا عني كما لو كنت قطعة من الأثاث. إن عقدة أوديب تتجلى لديه بشكل واضح يا دكتور، نسبة ذكاء الطفل أقل من العادي، لقد تربى تحت حماية مفرطة وبالتالي يتضح الخنوع في تصرفاته؛ ربما يُعد تسلط الأم سببًا أساسيًا لما حدث: لقد ذهب ليرى هذه السيدة وهو يعلم أنه قد يجدها مع عشيقها. معذرة يا إليسيتا، إنني توصلت لنتائج عكسية تماما: إنه يتمتع بذكاء شديد ونضوج مبكر بشكل يفوق العادة، حتى إنه من الممكن أن يصبح شخصًا أبله عند الخامسة عشرة من عمره. يرجع هذا التصرف الشاذ إلى أنه يعاني من الإهمال وليس الحماية الزائدة، ومن الصرامة الشديدة من قبل كلا الوالدين، وكذلك إلى شعور حاد بالنقص: لا تنسِ أنه قصير جدًا مقارنةً بزملائه في نفس عمره وهو أصغر إخوته الذكور. لاحظي كيف يحاول إثبات هويته من خلال الضحايا والحيوانات والأشجار غير القادرة على الدفاع عن نفسها. يبحث باستمرار عن العاطفة التي يفتقدها في محيطه الأسري.

انتابتني رغبة في الصراخ في وجهيهما: يا لكما من سفيهين، على الأقل عليكما أن تتفقا أولاً على رأي واحد قبل أن تقولا هذا الهراء الذي لا تفهمانه. لماذا تتلذذان بتعقيد الأمور؟ لمَ لا تتنبهان إلى أن الموضوع بكل بساطة هو أن شخصًا ما أحب شخصًا آخر؟ ألم تقعا في الحب من قبل؟!.. إلا أن الرجل توجه ناحيتي وقال: يمكنك الانصراف الآن يا حبيبي، سنرسل نتائج الاختبارات إلى أبيك.

كان أبي ينتظرني متجهمًا في قاعة الاستقبال محاطًا بأعداد مهترئة من "لايف" و"لوك" و"هوليداي"، فخورًا بأنه قادر على قراءتها بطلاقة. كان قد انتهى للتو من دورة تدريبية مسائية ومكثفة لتعليم اللغة الإنجليزية بعد

أن اجتاز الامتحانات بنجاح وكان الأول على أقرانه. كان يذاكر يوميًا مستعينًا باسطوانات ومذكرات. شيء طريف أن أرى رجلاً عجوزًا في مثل سنه يستذكر دروسه.. إنه في الثامنة والأربعين من عمره!!. في الصباح الباكر، بعد ممارسة التمارين الصباحية وقبل تناول الإفطار، يقوم بمراجعة الأفعال الشاذة:

Be, was/were, been; have, had, had; get, got, gotten; break, broke, broken; forget, forgot, forgotten.

كما يراجع نطق الكلمات:

apple, world, country, people, business

التي كانت بالنسبة له من أكثر الأشياء تعقيدًا في حين أن جيم يقولها بطبيعية ويسر.

مرت عليّ أسابيع مروعة. هيكتور هو الوحيد الذي دافع عني: لقد تفوقت على نفسك يا كارليتوس. إنني لا أصدق ما فعلته!. وأنت في مثل سنك تتصدى لمغازلة هذه المرأة ذات الجمال الاستثنائي، إنها أكثر إثارة من ريتا هيوارث، ماذا ستفعل إذن يا لئيم عندما تبلغ؟. خير ما تفعل هو أن تحاول من الآن ممارسة الجنس، حتى إذا كنت غير قادر على ذلك، بدلاً من أن تقضي وقتك في ممارسة العادة السرية. يا له من شيء رائع، فبالرغم من أننا تربينا بين العديد من الإناث فإننا لم نصبح مثليّين. ولكن عليك أن تحترس يا كارليتوس، فلا يمكن لهذا التيس أن يعلم بشيء وإلا أطلق عليك رجاله المسلحين وجعلوك عبرة لمن لا يعتبر. ولكن.. يا هيكتور، لم يصل الأمر لهذه الدرجة، لقد قلت لها فقط إنني أحبها، ما السيئ في ذلك؟.. إنني لم أفعل أي شيء. لا أفهم حقًا ما الفاضح في هذا الأمر.

أصرت أمي قائلة: كان سيحدث ما حدث بشتى الطرق بسبب جشع أبيك الذي يبخل بالمال على أبنائه ويتوفر لديه فقط حينما يريد صرفه في

أشياء "أخرى"، لسوء حظك أيها المسكين أدخلك مدرسة شحاذين، شيء لا يصدق: إنهم لا ينتقون من يدرس بها، من الواجب نقلك إلى مدرسة أخرى تليق بمستوانا الاجتماعي. فيقول هيكتور: ولكن يا أمي عن أي طبقة اجتماعية تتحدثين، إننا لسنا أكثر من أسرة عادية، شأننا شأن أي عائلة تدهور بها الحال في حي روما: الطبقة المتوسطة المكسيكية. وهناك وضع كارلوس لا يختلف كثيرًا عن بقية زملائه، وهذه هي المدرسة التي تليق بمستوانا. أين تريدين إدخاله إذن؟.

ـ 10 ـ

أمطار من نار

كانت أمي مقتنعة تمامًا بأن عائلتنا - أو بالأحرى عائلتها - تُعد من أرقى عائلات مدينة وادي الحجارة، لم تصدر منهم أي تصرفات همجية مثلما فعلت أنا. رجال شرفاء يحبون العمل، سيدات تقيات ومخلصات، زوجات تتميزن بنكران الذات، وأمهات مثاليات، أبناء مطيعون ومحترمون.. إلى أن جاء الهنود الفقراء وطبقات المجتمع السفلى للانتقام من هؤلاء الذين يتحلون بالأخلاق الحميدة والتربية الحسنة. بسبب الثورة؛ أي بسبب ذلك المستبد العجوز تمت مصادرة مزارعنا وبيتنا في شارع سان فرانسيسكو؛ بحجة أن الكثير من أفراد العائلة كانوا من الكريستيروس، والأدهى من ذلك أن أبي الذى احتقروه لأنه ابن لترزي - برغم أنه تخرج في كلية الهندسة - قد بدد ميراث حماه في مشروعات لا تجدي نفعًا مثل تأسيس شركة خطوط طيران تربط بين مدن وسط المكسيك، أو مشروع آخر لتصدير التكيلا للولايات المتحدة الأمريكية. ثم بفضل الأموال التي اقترضها من أخوالي، اشترى مصنعًا للصابون الذي سار على نحو جيد أثناء الحرب ثم خسر خسائر فادحة عندما غزت الشركات الأمريكية السوق المحلية.

ولهذا لم تسأم أمي قط من تكرار ذلك: إننا في مدينة مكسيكو اللعينة مدينة الفضائح والجرائم المشينة، سدوم وعمورة قبل أن يمطر الله عليهما نارًا وكبريتًا. إنها الفظائع التي تحدث في جهنم ولم تشهدها من قبل "وادي الحجارة"، مثل الجريمة التي ارتكبتها للتو. عاصمة مشئومة، حيث نعاني من الاختلاط بأدنى المستويات.. فتنتقل إلينا عدوى سلوكياتهم المنحطة. الصديق مرآة صديقه. وتكرر: كيف يمكن لمدرسة كهذه يفترض أنها "راقية" أن تقبل لقيطًا مثل هذا (ما معنى لقيط؟)، أو بمعنى أصح ابن عاهرة. الحقيقة أن لا أحد يعلم من هو أبوه بين كل هؤلاء الزبائن الذين عاشرتهم تلك الزانية مُفسدة الصغار. (ما معنى ابن عاهرة؟ ومن هي العاهرة؟ لماذا تُطلق عليها اسم زانية؟).

لقد نسيت أمي موضوع هيكتور تمامًا. كان يفتخر بأنه فحل الجامعة. يقول إنه كان عضوًا ناشطًا في الحزب اليميني الذي تسبب في طرد رئيس الجامعة ثوبيران ومحو جملة "لا وجود للرب" المكتوبة على الصورة الجدارية التي رسمها دييجو ريبيرا في فندق ديل برادو. كان هيكتور يقرأ كتبًا مثل "كفاحي" لأدولف هتلر، وكتبًا عن المشير روميل، "وملخص تاريخ المكسيك" للمعلم خوسيه باسكونثيلوس، و"فحل الحرملك"، و"ليالي ساخنة"، و"مذكرات سيدة شبقة"، وروايات إباحية تصدر في هافانا وتباع سرًا في سان خوان دي ليتران وبالقرب من التيبولي. أما أبي فكان يعشق هذه الكتب: "كيف تكسب صداقات وتؤثر في الصفقات"، "السيطرة على الذات"، "قوة التفكير الإيجابي" و"الحياة تبدأ عند الأربعين". كانت أمي تستمع إلى جميع المسلسلات الإذاعية على موجات "إكس.إي.أوبيدوبلي" بينما تقوم بالأعمال المنزلية وأحيانًا تأخذ قسطًا من الراحة تقرأ خلاله كتابًا لهوجو واست أو م. ديللي.

من يرى هيكتور الآن!.. ذلك الرجل الضامر الأصلع الرزين، أخي الذي أصبح شخصًا في غاية الرصانة والجدية والتفاني في العمل والاحترام،

وجدير بدور رجل الصناعة الذي يعمل في خدمة الشركات العالمية. رجل متدين، أب لأحد عشر ابنا، عضو مهم في اليمين المكسيكي المتطرف (على الأقل، فيما يخص هذا الأمر، ظل متمسكًا بموقفه ولم يتردد لحظة).

إلا أنه في هذه الفترة كانت الخادمات تهرب منه لأن "البيه الصغير" كان يحاول الاعتداء عليهن (متأثرًا بشعار أصدقائه الشباب: لحم القطة لذيذ ورخيص)، في منتصف الليل كان يقتحم هيكتور غرفة سطح المنزل، عاريًا ومنتصبًا بفعل رواياته التي تقوده إلى الجنون؛ فينازع الفتيات وأثناء عملية الهجوم والدفاع كان يمسح المني في ثياب نومهن دون أن يقدر على اختراقهن: كانت الصرخات توقظ والديّ فيصعدون إلى مصدرها، أما أنا وأخواتي فكنا نراقب كل شيء من وراء السلم الحلزوني، نراهم يتشاجرون مع هيكتور ويهددون بطرده من البيت وفي تلك الساعة المتأخرة يقومون بطرد الخادمة صاحبة الذنب الأكبر لأنها ظلت "تستفزه" طوال الوقت. كان يُصاب بأمراض تناسلية بسبب معاشرة عاهرات ميدان ميافي أو الثاني من أبريل، مشادات وشغب بين عصابات متخاصمة على ضفاف نهر لابييداد: تكسرت أسنان هيكتور الأمامية بعد أن قذفوه بحجر؛ فقام بتحطيم جمجمة أحد الحدادين بعصا صغيرة.. زيارة إلى النيابة لأنه تعاطى المخدرات مع أصدقائه من حديقة أوروبيتا، وقام بأعمال تخريبية في مقهى صيني، اضطر أبي إلى دفع غرامة تعويضًا عما تلف بالإضافة إلى البحث عن وساطة في الحكومة حتى لا يذهب هيكتور إلى السجن. عندما سمعت أنه تعاطى المخدرات حسبت أنه مديون، ففي بيتي كانوا يسمون الديون مخدرات. (هكذا كان أبي مدمنًا للمخدرات من الدرجة الأولى). ثم أوضحت لي أختي إيزابيل فيما بعد، وهي أكبر سنًا مني، ماهية الأمر. كان أمرًا طبيعيًا أن يتعاطف معي هيكتور: فقد حللت مكانه للحظة ما كابن مضطهد.

\- 11 -

أشباح

مررنا بفترة من الخلافات عندما بدأت إيزابيل علاقتها العاطفية مع استيبان الذي كان مشهوراً بوصفه ممثلاً للأطفال في الثلاثينيات. إلا أنه عندما كبر فقد نعومة صوته وبراءة وجهه، ولم تعد تُقدم له أدوار في السينما أو المسرح.. كان يكسب عيشه من قراءة الفكاهات على موجات إكس.إي. أوبيدوبلي الإذاعية، كان يشرب كالمجنون، ويُصر على أن يتزوج إيزابيل ويذهبا معًا إلى هوليوود ليجرب حظه هناك بالرغم من جهله التام باللغة الإنجليزية. كان يقابلها وهو مخمور، دون ربطة عنق، تفوح منه رائحة كريهة، ببدلة ملطخة بالبقع وحذاء متسخ.

لم يفهم أحد لماذا كانت إيزابيل مولعة متعصبة لهذا الشاب.. مولعة باستيبان لأنها عرفته في عصره الذهبي، ففي غياب تيرون باور أو إيرول فلين أو كلارك جيبل أو روبيرت ميتشوم أو كاري جرانت، كان استيبان يُمثل بالنسبة لها الإمكانية الوحيدة في أن تُقبل نجمة سينمائية. حتى لو كانت مجرد نجمة في السينما المكسيكية وهو الموضوع المفضل للعائلة، ويتحدثون فيه كثيراً كمثل حديثهم عن نظام حكم ميجل أليمان. فيتسم

حديثهم بالسخرية: أرأيت وجه بيدرو إنفانتي الأشبه بوجه سائقي الميكروباصات؟ نعم، بالطبع.. الآن أعرف لماذا يثير إعجاب الخادمات.

في ليلة ما طرد أبي استيبان من بيتنا وهو يصيح فيه ويدفعه بقوة، فعندما عاد متأخرًا من درس اللغة الإنجليزية وجده في الردهة تحت إضاءة خافتة ويده داخل تنورة إيزابيل. ضربه هيكتور في الشارع، طرحه أرضًا وأخذ يسدد له ركلات حتى استطاع استيبان النهوض وهو ينزف ثم فر هاربًا مثل كلب. لم تعد إيزابيل تتحدث مع هيكتور وتفرغت فقط للهجوم عليّ كلما فعلت شيئًا، مع أنني حاولت إيقاف أخي عندما انهال على استيبان المسكين بالضرب والركلات. لم تلتقِ إيزابيل واستيبان مجددًا: بعد ذلك بمدة قصيرة وبعد أن هلك بسبب الفشل والفقر وإدمان الكحوليات، شنق استيبان نفسه في فندق حقير في تاكوبايا. أحيانًا يعرضون أفلامه القديمة في التلفزيون فيبدو لي أنني أشاهد شبحًا.

لكن الميزة الوحيدة في ذلك الوقت هي أنني استقليت في غرفة بمفردي. فحتى هذه اللحظة كنت أنام في سرير مزدوج مع أختي استيليتا الأصغر مني. وعندما أقروا بأنني منحرف وفاسد رأت أمي أن الطفلة بهذا الشكل مُعرضة للخطر. فأصبح مكان نومها في غرفة الكبار وهو ما أثار استياء إيزابيل التي كانت تدرس في الإعدادية وكذلك روزا ماريا التي حصلت لتوها على دبلوم السكرتاريا باللغتين الإنجليزية والإسبانية.

طلب هيكتور أن يشاركني الغرفة ولكن رفض أبويّ. فبسبب بطولاته البوليسية ومحاولته الأخيرة في الاعتداء على الخادمة كان ينام في البدروم ويغلقون عليه الأقفال، ويكتفون بإعطائه أغطية ومرتبة بالية ينام عليها. أما حجرته القديمة فكان أبي يستعين بها لتخزين حسابات المصنع السرية ولسماع كل الدروس المسجلة على الأسطوانة آلاف المرات.

At what time did you go to bed last night, that you are not yet up? I went to bed very late, and I overslept myself. I could not sleep until four o'clock in the morning. My servant did not call me; therefore I did not wake up.(*)

لا أعرف أي شخص بالغ في السن قد تعلم بالفعل التحدث باللغة الإنجليزية في أقل من عام. لم يكن لديه خيار آخر.

استرقت السمع إلى حديث بين والديّ. يا لك من مسكين يا كارلوس. لا تقلقي، فسوف يتجاوز الأزمة. لا، بل ستترك في نفسه أثرًا طوال حياته. يا لسوء الحظ. كيف جرؤ ابننا على فعل ذلك. إنه حادث غير متعمد، افترضي أنه تعرض لحادث ودهسته شاحنة. بعد مرور أسابيع معدودة لن يتذكر أي شيء. إذا اعتبر ما فعلناه معه ظلمًا، عندما يكبر سيدرك أن كل هذا كان من أجل مصلحته. إنه الفجور الذي انتشر في البلاد في ظل أكثر أنظمة الحكم فسادًا. انظر إلى المجلات والإذاعة والأفلام جميعها تهدف إلى إفساد البريء.

هكذا كنت وحيدًا، لم يستطع أحد مساعدتي. حتى هيكتور نفسه كان يرى الأمر مجرد عبث أو شيء مرح نضحك كلما تذكرناه، مثلما ينكسر لوح زجاجي بضربة كرة. لا والديّ ولا إخوتي ولا موندراجون ولا الأب فيران ولا مؤلفي الاختبارات النفسية كانوا يدركون حجم الموضوع. فهم يحكمون عليّ من خلال قوانين أكبر كثيرًا من أفعالي.

التحقت بمدرسة جديدة لم أعرف فيها شخصًا، ومرة أخرى كنت أجنبيًا دخيلاً. لم يعد هناك عرب ولا يهود ولا فقراء يتلقون دعمًا ولا معارك صحراء، ولكن كالعادة كانت الإنجليزية بالإجبار. الأسابيع الأولى

(*) "في أي ساعة ذهبت أمس إلى النوم، فلن تستيقظ بعد؟ لقد ذهبت إلى الفراش في وقت متأخر ولم أتمكن من الاستيقظ لم أستطع النوم إلي الرابعة صباحًا. لم تتصل بي خادمتي لهذا استغرقت في النوم. (المترجم).

كانت جحيمًا بالنسبة لي، كنت أفكر طوال الوقت في ماريانا. اعتقد والداي أنني قد شُفيت بفعل العقاب والاعتراف والاختبارات النفسية التي لم أعرف عنها شيئًا قط. مع ذلك، كنت أشتري سرًا "بيا" و"بوديبيل" على الرغم من اندهاش بائع الجرائد، وأمارس العادة السرية دون أن أستطيع قذف المني. كانت تتبدى لي صورة ماريانا فوق صور تونجوليلي وكالانتان وسو موي كي. لا، لم أشف بعد: إن الحب مرض في عالم يعد فيه الكره الشيء الطبيعي الوحيد.

ومن ثم لم أر جيم مجددًا، ولم أجرؤ على الاقتراب من منزله ولا من المدرسة القديمة. عندما أفكر في ماريانا كان يختلط بداخلي دافع الذهاب لرؤيتها مع شعور بالاستياء والسخرية. يا له من غباء أن أُدخل نفسي في اشتباكات ومشاكل كان من الممكن تجنبها بأن أقاوم فقط تصريحي السخيف بحبي لها. لكن لا جدوى الآن من الندم: قمت بما وجب عليّ فعله، والآن على الرغم من مرور كل تلك السنوات، فلن أنكر أبدًا أنني أحببت ماريانا يومًا ما.

ـ 12 ـ

حي روما

حدثت هزة أرضية مروعة في أكتوبر. وظهر مذنب في نوفمبر، فقالوا إنه بمثابة إعلان عن الحرب النووية ونهاية العالم أو على الأقل مؤشر لثورة أخرى في المكسيك. ثم نشب حريق في معمل حديد سيرينا راح ضحيته كثيرون. عندما جاءت إجازة نهاية العام كان كل شيء مختلفًا تمامًا بالنسبة لنا: باع أبي المصنع بعد أن عُين وكيلاً للشركة الأمريكية التي التهمت إنتاج مصنعه من الصابون. درس هيكتور في جامعة شيكاغو وأخواتي الكبار في تكساس.

صعدت إلى الأتوبيس المتجه إلى سانتا ماريا بعد أن انتهيت من تمرين التنس في نادي جونيور، جلست على المقعد العرضيّ وقرأت رواية قصيرة لبيري ماسون، وعلى ناصية إينسورخينثيس وألبارو أوبريجون استأذن روساليس من السائق ليصعد بصندوق لبان تشكلتس آدامز. رآني.. فنزل مسرعًا وهو مغموم ليختبئ خلف شجرة قريبة من "ألفونسو وماركوس" حيث كانت تذهب أمي لتصفيف شعرها وعمل "المانيكير" قبل أن يصبح لديها سيارة خاصة وتذهب إلى صالون للتجميل في بولانكو.

روساليس، أفقر طفل في مدرستي القديمة، ابن عاملة نظافة في مستشفى. كل شيء حدث في ثوانٍ معدودة. نزلت من الأتوبيس الذي كان قد بدأ في التحرك بالفعل، حاول روساليس الهروب؛ ذهبت لألحق به. مشهد مضحك: روساليس، أرجوك، لا تحزن.. إنه شيء جيد أن تعمل (أقول له ذلك وأنا لم أعمل قط في حياتي). كونك تساعد والدتك لا يعيب في شيء، بل عليك أن تفخر بذلك (أرى نفسي في دور الدكتورة " قلوب" في عيادة الأرواح). تعال معي سوف أدعوك إلى جيلاتي في "بيبيا إيطاليا". لا تعرف كم سعدت برؤياك (أنا رحب الصدر وبالرغم من انخفاض العملة والتضخم فقد كان معي فائض من المال). أما روساليس فكان متجهمًا وشاحبًا وعلى وشك التراجع. إلى أن توقف أخيرًا ونظر في عينيّ.

لا، يا كارليتوس، أُفضل أن تدعوني على سندويتش، إذا تكرمت. لم أفطر بعد وأتضور جوعًا. اسمع، هل مازلت حانقًا بسبب مشاجراتنا؟. بالطبع لا يا روساليس، لم أعد أفكر في أي مشاجرات (أنا كريم الأخلاق، قادر على العفو لأنني لم يعد يؤثر فيّ شيء). حسنًا، هذا جيد جدًا يا كارليتوس.. هيا لنجلس ونتحدث.

مررنا بأوبريجون وإينسورخينتيس. احك لي: هل نجحت هذه السنة؟ ماذا فعل جيم في الامتحانات؟ ماذا قالوا عندما لم أعد إلى المدرسة؟ ظل روساليس صامتًا. جلسنا في المطعم. طلب ساندوتشًا من السجق واثنين من شرائح لحم الخنزير ومشروب التفاح سيدرال موندييت. وأنت يا كارلوس، ألن تأكل شيئًا؟. لا أستطيع: إنهم ينتظرونني في المنزل، لقد أعدت أمي روزبيف وأنا أحبه كثيرًا.. وإذا ذقت شيئًا، فلن آكل فيما بعد. أريد كوكاكولا باردة من فضلك.

وضع روساليس صندوق التشكلتس آدامز على المائدة، نظر تجاه إينسورخينتيس: الباكارد والبويك والهدسون والترام ذو اللون الأصفر والحافلات الملونة والمارة الذين لا يزالون يرتدون القبعة: مشهد ولحظة لن

يتكررا أبدًا. في المبنى المقابل جينيرال إليكتريك، سخانات هيلفيكس ومدافئ مابي. صمت طويل وعدم ارتياح من كلا الطرفين. كان روساليس في غاية الاضطراب، يتحاشى النظر إلى عينيّ ويجفف يديه المبتلتين في سرواله الرث المصنوع من الدنيم.

أحضروا الطعام. قضم روساليس قضمة من سندويتش السجق وقبل أن يمضغ اللقمة تناول رشفة من عصير التفاح ليرطبها. شعرت بالقرف. جوع متراكم ولهفة، كان يلتهم الطعام وبفم مملوء سألني: وماذا عنك؟ هل نجحت هذه السنة على الرغم من التحاقك بمدرسة أخرى؟ هل لديك خطط لقضاء الإجازة؟. انتهى الفونوغراف من عزف أغنية لاموكورا وبدأت Riders in the Sky سنذهب في عيد الميلاد المجيد إلى نيويورك لنجتمع مع إخوتي هناك، لدينا حجز في البلازا. أتعرف ما هو البلازا؟. ولكن لماذا لا تجيبني عما سألتك؟

ابتلع روساليس لعابه ثم قضمة ثم رشفة من عصير تفاح. خشيت أن يختنق. حسنا كارليتوس.. لا أعرف كيف أقول لك ذلك: لقد عرف الفصل بأكمله كل شي. وما هو كل شيء؟. موضوع الأم هذا.. لقد حكى جيم ما حدث لكل فرد منا. إنه يكرهك. لقد ضحكنا كثيرًا حينما علمنا بما فعلت، شيء لا يصدقه عقل. وبالإضافة إلى ذلك قد رآك أحدهم في الكنيسة تعترف للقسيس بعد أن صرحت بحبك. وبطريقة ما تناقلت الشائعات بأنهم أخذوك إلى طبيب المجانين.

لم أقل شيئًا. ظل روساليس يأكل في صمت، وفجأة نظر إليّ: لم أشأ أن أقول لك ذلك يا كارليتوس.. ولكن ليس هذا أسوأ شيء. حسنًا، فليقل لك ما حدث أي شخص آخر ودعني آكل، إن الطعام شهي جدًا.. لم آكل لمدة يوم كامل. أصبحت أمي دون عمل بعد أن حاولت المطالبة بتأسيس نقابة في المستشفى. والرجل الذي يعيش معها الآن يقول إنني لست ابنه؛ ولذلك فهو غير مجبر على الإنفاق عليّ. روساليس، آسف فعلاً لما حدث

لك؛ ولكن لا شأن لي بذلك ولا يوجد هناك داع لأن أتدخل. كُل كما شئت وما يحلو لك، وسوف أدفع أنا، لكن قل لي ما هو أسوأ شيء.

حسنًا، كارليتوس.. لن تتخيل كم يؤسفني أن أقول لك ذلك. هيا، لا تضجرني، قل لي ماذا حدث يا روساليس، تحدث. إن الأمر.. لا أعرف كيف أشرح لك: لقد توفت والدة جيم.

ماتت؟ كيف..؟. نعم.. لم يعد يدرس جيم في المدرسة، يعيش في سان فرانسيسكو منذ أكتوبر الماضي مع أبيه الحقيقي. لقد كان الأمر مخيفًا. من الواضح أنها تشاجرت مع هذا الرجل الذي يقول جيم إنه والده ولم يكن. كان مع السيدة – اسمها ماريانا، أليس كذلك؟ – في ملهى ليلي أو مطعم أو واحدة من تلك الحفلات الراقية في حي لاس لوماس. تجادلا معًا بسبب شيء ما قالته عن سرقات الحكومة وكيف أنهم يسرقون أموالاً منتزعة من حقوق الفقراء. لم يعجب السينيور أن ترفع صوتها عليه بين أصدقائه من ذوي النفوذ: الوزراء والأجانب أصحاب الملايين وشركائه في أعماله المخالفة للقانون.. إلخ. فصفعها على وجهها أمام الجميع وصاح قائلاً إنه ليس لها الحق في أن تتكلم عن الشرف لأنها عاهرة.

نهضت ماريانا واستقلت سيارة أجرة إلى بيتها ثم تناولت زجاجة منوم نيمبوتال أو قطعت شرايينها بموس حلاقة أو أطلقت على نفسها الرصاص أو فعلت كل هذه الأشياء في آن واحد، لا أعرف بالتحديد كيف كانت وسيلة الانتحار. ما يهم في الأمر أن جيم استيقظ فوجدها سابحة في دمائها. كان على وشك أن يموت هو الآخر من الألم والفزع. بما أن حارس العقار لم يكن موجودًا، فلم يجد من يلجأ إليه إلا موندراجون. وبالطبع علم كل فرد في المدرسة بالأمر.. كان عليك أن ترى جموع الفضوليين الذين كانوا مكدسين هناك لمشاهدة الحادث، هذا بالإضافة إلى عربات إسعاف الصليب الأخضر ووكيل النيابة العمومية ورجال الشرطة.

لم أجرؤ أن أراها ميتة، ولكن عندما أخرجوها على النقالة كانت كل الشراشف غارقة بالدماء. إنها من أبشع الخبرات التي مرت علينا طوال حياتنا. تركت الأم لجيم رسالة مطولة بالإنجليزية تطلب منه أن يسامحها على ما فعلت وتشرح له ما حكيته لك. على ما أعتقد أنها كتبت رسائل أخرى - ربما تركت لك شيئًا، من يعرف - فقد أصبحوا رمادًا، قام السينيور بمداراة الأمر في الحال، ومنعونا من التحدث عما حدث وخاصة في بيوتنا. ولكنك تعرف كيف تتطاير الشائعات، من الصعب أن يُحفظ سر هنا. يا لك من مسكين يا جيم.. مسكين يا صديقي.. لقد جعلناه أضحوكتنا في الفصل وكنا نزعجه دائمًا. إنني حقًا نادم على ما فعلنا به.

روساليس، هذا مستحيل. إنها واحدة من أكاذيبك السخيفة. إنك ألفت كل ما رويت لي الآن. رأيته في أحد الأفلام المكسيكية التافهة التي تعجبك، أو سمعته في مسلسل إذاعي على محطة إكس. إي. أوبيدوبلي. هذه الأشياء لا تحدث أبدًا. لا تمزح معي هكذا من فضلك.

إنها الحقيقة يا كارليتوس. أقسم لك بالله أن هذا هو ما حدث. فلتمت أمي إذا كنت كذبت عليك في شيء. اسأل أي شخص في المدرسة لتتأكد، تحدث مع موندراجون فالجميع يعرف ما حدث على الرغم من أنهم لم ينشروا شيئًا في الصحف. لقد أدهشني إنك لم تعرف بالأمر إلا الآن. لتعلم أنني لم أُرد أن أكون من يحكى لك؛ لهذا اختبأت منك وليس لأنني كنت متجولاً بصندوق اللبان. كارليتوس، ما هذا التعبير الذي ارتسم على وجهك؟ هل تبكي؟! أعلم أنه شيء مفزع ورهيب، لا يمكنك أن تتصور كيف أثر الحدث فيّ. ولكن لا تقل لي إنك في مثل سنك هذا قد أحببت حقًا والدة جيم.

بدلاً من أن أرد عليه، نهضت من مكاني، دفعت الحساب بورقة من فئة العشر بيزوهات وخرجت دون حتى أن أنتظر الباقي ودون أن أودعه. رأيت الموت في كل مكان: في قطع لحم الحيوانات التي على وشك أن تتحول إلى

وجبة خفيفة مع البصل والطماطم والخس والجبن والكريمة والفاصوليا وسلطة الأفوكادو والفلفل الأحمر الحار. حيوانات حية مثل تلك الأشجار التي شذبوها للتو في منطقة إينسورخينتيس. رأيت الموت في هذه المشروبات: ميشن أورانج وسبور وفيرّوكينا. وكذلك في أنواع التبغ المختلفة: بلمونت، جراتوس، إيليجانتس وكازينو.

جريت في شارع تاباسكو وأنا أقول لنفسي، أو أحاول أن أقول: إنها دعابة.. إحدى مزحات روساليس السخيفة، كلنا نعرف أنه أحمق، لقد اعتدنا على ثقل ظله منذ البداية. أراد أن ينتقم مني لأنني رأيته متجولاً بصندوق التشكلتس يتضور جوعًا وأنا بمضرب التنس والزي الرياضي الأبيض ورواية بيري ماسون بالإنجليزية وحجوزاتنا في البلازا. لا يهم إذا فتح جيم الباب، لا يهمني إذا استهزأ بي، حتى إذا سخر الجميع مني ولكنني أريد أن أرى ماريانا. أريد أن أتحقق من أنها لم تمت.

وصلت إلى العمارة، جففت دموعي وصعدت الدرج ثم دققت جرس باب شقة رقم 4 فتحت لي فتاة في الخامسة عشرة. ماريانا؟. لا تسكن هنا أي سيدة تدعى ماريانا. إنه منزل عائلة موراليس، سكنّا هنا منذ شهرين. لا أعرف من كان يعيش هنا من قبل، من الأفضل أن تسأل حارس العقار.

وبينما تتحدث الفتاة تمكنت من رؤية الردهة التي تختلف تمامًا عما سبق.. قذرة وفقيرة وغير مرتبة، تخلو من صورة ماريانا التي التقطها لها سيمو، ومن صورة جيم أمام جسر البوابة الذهبية، ومن صور السينيور الذي يعمل في فريق الرئيس "من أجل خدمة المكسيك". بدلا من كل هذا رأيت صورة العشاء الأخير منقوشة على لوح معدني ونتيجة حائط مطبوع عليها صور ملونة من أسطورة البركان.

لقد جاء حارس جديد للعقار، فلم يعد موجودًا العم سيندولفو العجوز الذي كان هناك من قبل، وهو العقيد السابق في حزب الثورة المكسيكية الذي تزعمه إيميليانو ثاباتا، وقد أصبح صديقًا لجيم. أحيانًا يروي لنا

يقوم بأعمال النظافة عند ماريانا لأنها لا تحب أن يعمل لديها خادمات. لا يا صغيري: لا أعرف عم سيندولفو ولا جيم هذا الذي تتحدث عنه. لا توجد هنا أي سيدة تدعى ماريانا، توقف عن الإلحاح يا بني، لا تزعجني أكثر من ذلك. عرضت عليه عشرين بيزو. ولو أعطيتني ألفا، فلن أقبلها يا صغيري لأنني لن أستطيع مساعدك.

مع ذلك، أخذ مني العشرين بيزو وتركني مستمرًا في البحث. في هذه اللحظة تذكرت أن العمارة كانت ملكًا للسينيور، والعم سيندولفو كان يعمل لديه حارسَ عقار. وذلك لأن أبا السينيور - الذي كان يقول له جيم "يا جدي" - كان صديقًا للعم العجوز، حيث ناضل الاثنان معًا أثناء الثورة. طرقت كل الأبواب بمظهري المضحك وأنا في ثيابي البيضاء ممسكًا بالمضرب وببيري ماسون، أسأل، أُطل من الأبواب وعيناي مغرورقتان بالدموع. تفوح رائحة شوربة الأرز والفلفل الحار المحشي. استمع إليّ أصحاب الشقق بشيء من الخوف. يا لها من ثياب غير لائقة، إنه كان بيت الموت وليس ملعبًا للتنس.

لا، إنني أعيش في هذا المنزل منذ العام 1939 وعلى حد علمي، لم تسكن هنا أية سيدة اسمها ماريانا. جيم؟ لا، لا نعرفه. في الطابق الثامن يسكن طفل في نفس سنك تقريبًا لكن اسمه إبيراردو. في شقة رقم أربعة؟ لا، كان يسكنها زوج من العجائز ولم ينجبوا أطفالاً.

لكنني جئت هنا ملايين المرات إلى بيت جيم والسيدة ماريانا. إنها تهيؤات يا صغيري، ربما أخطأت الشارع أو العمارة. حسنًا، مع السلامة، لا تضع من وقتي أكثر من ذلك، هذا يكفي. لا تتدخل فيما لا يعنيك ولا تتسبب في مشاكل أكبر من ذلك. هذا يكفي يا صغيري من فضلك، عليّ أن أعد الطعام، سوف يصل زوجي في الثانية والنصف. ولكن، سيدتي.. لقد قلت لك أن ترحل وإلا سوف أتصل بالشرطة ليأخذوك مباشرة إلى محكمة الأحداث.

عدت إلى بيتي ولا يمكنني أن أتذكر ماذا فعلت بعد ذلك. من الواضح أنني ظللت أبكي أيامًا متواصلة. سافرنا بعدها إلى نيويورك. التحقت بمدرسة في فيرجينيا. أتذكر.. لا، لا أتذكر حتى أي سنة كانت. فقط لفحة من الذكرى أو ومضة من الصور تجعلني أستغيد كل ما كان وبعض الكلمات بعينها. هذه الأغنية فقط هي التي لن أسمعها مجددًا "مهما كان بُعد السماء، وعمق البحر، سوف يجتاز حبي لكِ كل عوائق العالم من أجلِك".

يا لها من قصة قديمة ومستحيلة، حدثت منذ زمن بعيد. ولكن ماريانا وجيم كان لهما وجود، وكل ما حدث كان حقيقيًا بالرغم من أنني رفضت مواجهته لفترة طويلة. لن أعرف أبدًا إذا كانت قد انتحرت بالفعل. لم أر روساليس مجددًا ولا أي شخص عرفته حينئذ. قاموا بهدم المدرسة والعمارة التي سكنت بها ماريانا وهدموا بيتي وحي روما بأكمله. لقد انتهت قصة هذه المدينة وهذا البلد، لم تعد هناك ذكريات للمكسيك أثناء تلك السنوات. لا أحد يعنيه ذلك: من يمكن له أن يشعر بالحنين إلى هذه الأهوال. دارت كل هذه الأحداث كما تدور الأسطوانات في الفونوغراف الآلي. لن أعرف أبدًا إذا كانت لا تزال ماريانا على قيد الحياة. إذا كانت تعيش إلى هذه اللحظة ستكون في الثمانين من عمرها.

الدكتور : إبراهيم علي منوفي

- تاريخ الميلاد: 5/ 2/ 1949، أستاذ بكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر.
- شغل منصب الأمين العام لمركز بحوث اللغات والترجمة - جامعة الملك سعود (من 2001 حتي عام 2004).
- نائب رئيس جمعية المشتغلين بالدراسات الأسبانية (مصر).
- رئيس تحرير مجلة "قنديل" التي تصدر عن جمعية المشتغلين بالدراسات الأسبانية باللغتين الأسبانية والعربية (مصر).
- الإشراف علي قسم اللغة الإسبانية الذي أنشئ عام 2012/ جامعة أسوان.
- عضو لجنة التحكيم لجائزة الشيخ زايد للكتاب (فرع الترجمة) 2011/ 2012.
- عضو لجنة التحكيم لجائزة رفاعة للترجمة للشباب - المركز القومي للترجمة 2012/ 2013.

الأبحاث المنشورة والترجمات:

١ - القصة القصيرة في إسبانيا (1939 - 1980) تقديم ومختارات (بالعربية).

٢ ـ العمل كأحد موضوعات القصة القيرة عند إيجناثيو ألديكوا (تقديم ومختارات) 1995م ـ القاهرة.

٣ ـ مأساة الحرب الأهلية الأسبانية منخلال ديوان "الغيوم" للشاعر الأسباني لويس ثير نودا (بالإسبانية) القاهرة 1966م/ مجلة كلية اللغت والترجمة.

٤ ـ الشعر كاتصال والشعر كمعرفة (بالإسبانية) القاهرة 1966م. م كلية اللغات والترجمة.

٥ ـ عودة الواقعية في الشعر الإسباني المعاصر (بالإسبانية) ـ مجلة كلية اللغات والترجمة ـ جامعة الأزهر ـ 1998.

٦ ـ إطلالة علي اثنين من دواوين الشعر لـ بلاس دي أوتيرو ـ مجلة كلية اللغات والترجمة ـ جامعة الأزهر ـ 1998.

٧ ـ اطلالة علي التيار الطليعي المسمي بوستيسم Postiomo ـ أي ما بعد الطليعية (بالإسبانية) مجلة كلية اللغات والترجمة ـ جامعة الأزهر.

٨ ـ القصة القصيرة عند جابريل جارثيا ماركيث (تقديم ومختارات بالعربية ـ المجلس الأعلي للثقافة 2000).

٩ ـ لعبة "الحجلة" لخوليو كورتاثار (تقديم وترجمة) المجلس الأعلي للثقافة 2000.

١٠ ـ القصة القسيرة في أسبانيا خلال نصف القرن الأخير (بعنوان: شهر العسل) (تقديم ومختارات) بالعربية (2001) ـ المجلس الأعلي للثقافة.

١١ ـ دراسة مقارنة لبعض ترجمات معاني القرآن الكريم إلي اللغة الأسبانية (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف 2001).

١٢ ـ القصة القصيرة ـ النظرية والتقنية ـ (ترجمة) المجلس الأعلي للثقافة 2000.

١٣ ـ تاريخ أسبانيا الأسلامية (الجزء الأول) (ترجمة) المجلس الأعلي للثقافة 2000.

١٤ ـ تاريخ أسبانيا الأسلامية (الجزء الثاني/ مجلدان) (ترجمة) المجلس الأعلي للثقافة 2001.

١٥ ـ تعليم الترجمة (ترجمة) مركز الترجمة ـ جامعة الملك سعود 2004.

١٦ ـ كيف تعد رسالة دكتوراه (ترجمة) المجلس الأعلي للثقافة 2001.

١٧ ـ الفن الأندلسي ـ الزخرفة الهندسية (ترجمة) المجلس الأعلي للثقافة ٢٠٠٢.

١٨ ـ الفن الأندلسي ـ الزخرفة النباتية (ترجمة) المجلس الأعلي للثقافة 2002.

١٩ ـ أسبانيا في تاريخها (ترجمة) المجلس الأعلي للثقافة 2002.

٢٠ ـ الفن الطيلطليي (ترجمة) المجلس الأعلي للثقافة 2002.

٢١ ـ العمارة المدجنة (ترجمة) المجلس الأعلي للثقافة.

٢٢ ـ عمارة المياه في الأندلس (ترجمة) ـ دار زهراء الشروق ـ القاهرة 2008.

٢٣ ـ عمارة المدن والحصون في الأندلس (ثلاثة مجلدات) (ترجمة) المجلس الأعلي للثقافة 2005.

٢٤ ـ الشعر الأسباني خلال القرن العشرين (ترجمة وتقديم) المجلس الأعلي للثقافة 2005.

٢٥ ـ اللا عقلانية الشعرية (ترجمة) المجلس الأعلي للثقافة 2005.

٢٦ ـ الترجمة ونظرياتها: مقدمة في علم الترجمة (ترجمة) المجلس الأعلي للثقافة 2007 .

٢٧ ـ عدد خاص: مجلة نوافذ (يونيو 2005) المملكة العربية السعودية (التيارات الأدبية في أمريكا اللاتينية) (ترجمة نصف محتوي العدد).

٢٨ ـ تعليم الترجمة في جامعة الأزهر (2009) (بحث بالأسبانية).

٢٩ ـ عمارة القصور في الأندلس (أربعة مجلدات) (ترجمة) المركز القومي للترجمة (2009).

٣٠ ـ مائة وعشرون عامًا من البحث الآثاري الأسباني في مصر ـ وزارة الثقافة الأسبانية (ترجمة / 2009 مدريد)

٣١ ـ رحلة إلي السودان (ترجمة/ الدار العربية/ القاهرة 2010).

٣٢ ـ مكتبة الأسكندرية (ترجمة/ تحت الطبع/ المركز القومي للترجمة 2011).

٣٣ ـ المرأة الدفينة (المركز القومي للترجمة / 2012).

٣٤ ـ عمارة المساجد في الأندلس (أربعة مجلدات/ كلمة/ أبو ظبي/ 2011).

٣٥ ـ هل يمكن للحاسوب أن يكتب قصيدة غزلية؟ (تحت الطبع/ المركز القومي للترجمة/ مصر).

٣٦ ـ رسوم عبد الزمان (ترجمة/ غرناطة/ أسبانيا/ 2010).

٣٧ ـ حتشبسوت: من ملكة إلي فرعون مصر (مرحلة الترجمة/ المركز القومي للترجمة).

٣٨ ـ الأخلاقيات المدنية (ترجمة/ دار نشر كتب خان ـ القاهرة/ الكتب خان).

٣٩ ـ نحو نظرية للمواطنة (ترجمة/ كتب خان ـ القاهرة / الكتب خان).

٤٠ ـ عن الحرب (ترجمة/ المركز القومي للترجمة/ تحت الطبع).

٤١ ـ دراسة للرد علي ملاحظات بعض القرآن الكريم الصادرة عن مجمع الملك فعد لطباعة المصحف الشريف (لصالح مجمع الملك فعد لطباعة المصحف الشريف).

٤٢ ـ ترجمة سبعة أفلام للمخرج العالمي لويس بونيويل (لصالح معهد ثربانتس بالقاهرة والأسكندرية).

٤٣ ـ ترجمة فيلمين وثائقيين عن فترة تحول أسبانيا إلي الديمقراطية.

٤٤ ـ مراجعة عدد من الكتب المترجمة إلي اللغة الأسبانية في باب الدراسات الإسلامية.

٤٥ ـ مختارات شعرية (منم العربية إلي الأسبانية/ دار الكتب والوثائق المصرية/ الشاعر محمود شرف 2012).

٤٦ ـ شهر العسل (مختارات قصصية/ المشروع القومي للترجمة/ 2003).

٤٧ ـ أسبانيا بشكل جلي (ترجمة ـ الكتب خان ـ 2014).

٤٨ ـ مؤتمر دولي: اصداء الثقافة الأندلسية في المشرق العربي (جامعة الأزهر/ وزارة الثقافة الأسبانية/ 2008) (مقرر المؤتمر).

٤٩ ـ الأشراف علي إعداد مؤتمرات لجمعية المهتمين بالدراسات الأسبانية في مصر، ومنها : 1 مؤتمر عن العلاقات المصرية الأسبانية (مصر 2010).

٥٠ ـ مؤتمر الترجمة وتفاعل الثقافات بالمشاركة مع إتحاد الكتّاب المصريين (2009).

■ سمر عزت

مواليد (الجيزة 1987حاصلة على درجة الماجستير في الترجمة الأدبية في كلية الترجمة الكتابية والفورية بجامعة غرناطة عام 2011 بعد تخرجها في كلية الآداب قسم اللغة الإسبانية بجامعة القاهرة عام 2008 .

حصلت كذلك على شهادة التخصص في الترجمة من العربية إلى الإسبانية من مدرسة المترجمين بطليطلة عام 2012 عملت في مجال الترجمة في العديد من الهيئات آخرها الترجمة الصحفية في وكالة الأنباء الإسبانية بالقاهرة.

اتجهت بشكل مواز إلى ترجمة بعض الأعمال التي لم تنشر بعد، مثل الروايات المصورة التي من أهمها بعض المقاطع من "مافالدا" (الأرجنتين،

(1964 -1973 للفنان الأرجنتيني خواكين سلفادور الشهير بكينو.

وروايات مصورة أخرى منها "الموجة المثالية" (برشلونة 2012) لرامون دي إسبانيا وساجار فورنييس، و"البطولات الحربية الجديدة" هيرنان ميجويا (إسبانيا، 2011) والذي يعكس واقع الحرب الأهلية الإسبانية.

من أهم المقالات المترجمة: الإسلام كأناركية روحانية (برشلونة 2010) للكاتب الكتلاني عبد النور برادو، وأخيرًا العمل الأدبي معارك الصحراء للكاتب المكسيكي خوسيه إميليو باتشيكو.

يصدر قريباً من هذه السلسلة

١ ـ أنشودة الجلاد.. الجزء الأول.. نورمان ميللر.. جائزة باريس ريفيو (هادادا) 2002 .

٢ ـ أنشودة الجلاد.. الجزء الثانى.. نورمان ميللر.. جائزة باريس ريفيو (هادادا) 2002 .

٣ ـ يوميات مجنون.. لوشون.. جائزة لوشون 1986 .


الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠١٦



الرواية

رواية "معارك الصحراء" رواية قصيرة وبارعة تنطوي على جوانب الفساد الاجتماعي والسياسي، وتصور بداية المكسيك الحديثة واختفاء ذلك البلد القديم بعاداته وتقاليده، ورصد تحولات البلاد وتاريخها ومحاولة حفظ بعض الذكريات الفردية والجماعية لمدينة يحبها "خوسيه إميليو باتشيكو" بعمق، إلا أنه يتذكرها دون حنين ويشجبها بقوة.

كتب "باتشيكو" روايته بخليط رفيع من الدلالات التي تتحدث عن المكسيك أثناء انتقالها إلى مرحلة "عصرية" بين الأربعينيات والخمسينيات، وتمر خلالها بلحظة كارثية، يتقاطع فيها ما يعتقده البعض أنه "تقدم" مع الحنين إلى الماضي.

تنتقد الرواية المجتمع والسياسة القائمة في البلد حينذاك؛ الفساد، التضخم، النفاق، ضياع القيم، القمع، الطبقية، الرأسمالية والتأثر بالثقافة الأمريكية المهيمنة. وتستغيث من هجوم الضوضاء والتوحش الذي يتسبب فيه تدخل قوى عليا. وتحترم كل ما يجعل للمجتمع صبغة متميزة وكل ما هو أصيل فيه.

يجتمع فيها الحنين إلى براءة الطفولة وأصالة مدينة تحلت بتقاليد مقربة إلى قلب كاتبها. إلا أن المدينة والبراءة يذهبان بدون رجعة. فمدأساتها تضخم لانهائي تسبب في الشعور بالوحدة، والبرود واللامبالاة الموحشة. ما يحن إليه باتشيكو هي تلك البراءة الضائعة بين زخم "الفوضى الخارجة عن السيطرة".

وهو ما تؤكده بشكل آخر النافدة "سيلفيا ماديرو": حيث يتأثر الفرد بالوقت والأحداث التاريخية التي تنطوي على ثورات وانحدارات وتغيرات اجتماعية وحركات سياسية وصيحات الموضة والعلامات التجارية والعولمة وعوامل أخرى تتسم في ظاهرها بالضوضاء والنشاط إلا أنها في الواقع تعصف بالإنسان إلى الوحدة.

معارك الصحراء مثال أدبي استثنائي نرى من خلاله عدم اتساق المجتمع وتضارب القيم التي تتضح في أفعال هؤلاء الذين من المفترض أنهم قدوة، وهم ذوو السلطة والمكلفون بالوعظ.

تدور أحداثها في أحد أحياء العاصمة المكسيكية، على نطاق محلي في ظاهره، إلا أنه عالمي في الوقت ذاته، حيث إن تواضع الكاتب يجعل قارئه يتلمس معه العمق الإنساني للأبطال وواقعهم، وهنا تكمن عالميته.

منذ أن ظهرت هذه الرواية المكثفة، ونشرت في بقاع مختلفة في العالم، أدهشت الجميع نظرًا لبساطتها وهيكلها المعقد الذي يسمح بقراءات متعددة ورؤية أبعاد مختلفة، وكذلك لأنها تُشعر القارئ بأنه جزء لا يتجزأ من الأحداث وتربطه دائمًا بالكاتب.

الكاتب: خوسيه إميليو باتشيكو، كاتب مكسيكي.

الجائزة: جائزة ألفونسو رييس عام 2011.

تصميم الغلاف: د. هند سمير



